كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلمية

تنوع صور المعنى بين الوحيين في قصة أصحاب الأخدود

(دراسة بلاغية)

إعداد

د/ رشا عبد الظاهر محمد سيد

مدرس البلاغة والنقد في كلية البنات الإسلامية بأسيوط

(العدد التاسع والثلاثون)

(الإصدار الثاني ـ الجزء الثالث)

(١٤٤٢هـ/ ٢٠٢٠م)

تنوع صور المعنى بين الوحيين في قصة أصحاب الأخدود
(دراسة بلاغية)

د/ رشا عبد الظاهر محمد سيد
قسم البلاغة والنقد، كلية البنات الإسلامية بأسيوط، جامعة الأزهر، مصر.
البريد الإلكتروني: rashasayed.8719@azhar.edu.eg

الملخص:
القرآن والحديث يعملان في حياة أهل الأرض بنور متمم لما يعمله نور الشمس والقمر، فأردت عرض قصة "أصحاب الأخدود" بين الوحيين ؛ للوقوف على صور المعاني المتنوعة بينهما للوصول إلى أعلى درجات العظة المستفادة من القصة، وقد اعتمدت على منهج التحليل البلاغي القائم على الموازنة، ووقع البحث في مقدمة وتمهيد، وثلاثة مباحث هي: المبحث الأول: تنوع مطلع القصة بين الوحيين وصلته بالمقصد، المبحث الثاني: تنوع التعبير عن أحداث قصة أصحاب الأخدود بين الوحيين، المبحث الثالث: تنوع التعبير عن خاتمة قصة أصحاب الأخدود بين الوحيين، وقد توصلت من هذه الدراسة لبعض النتائج وهي: تنوع مطلع القصة بين الوحيين، اتحاد الوحيين في حدث واحد من أحداث القصة وهو تعمد الكفار تحريق المؤمنين والتشفي بتعذيبهم، اتحاد خاتمة القصة في الوحيين في الحديث عن قدرة الله.

الكلمات المفتاحية: أصحاب الأخدود، بلاغية، صور المعنى، الوحيين، تنوع.

The diversity of images of meaning between the two revelations in the story of the owners of the groove

(Rhetorical study)

Rasha Abdelzaher Mohamed Sayed
Department of Rhetoric and Criticism, Faculty of Islamic Girls in Asyut, Al-Azhar University, Egypt.
E-mail: rashasayed.8719@azhar.edu.eg

Abstract:-

The Qur'an and hadith work in the life of the people of the earth with a light that complements what the sun and moon do. So I wanted to present the story of the "owners of the groove" between the two revelations; To find out the various meanings between them in order to reach the highest levels of the sermon learned from the story, and I relied on the method of rhetorical analysis based on the balance, and the research fell into an introduction and preface, and three topics are: The first topic: the diversity of the beginning of the story between the two revelations and its link to the destination, the second topic: the diversity of the expression of the events of the story of the owners of the groove between the two revelations, the third topic: the diversity of the expression of the conclusion of the story of the owners of the groove between the two revelations, and I reached from this study some results, namely: the diversity of the beginning of the story between The Revelations, the union of the Revelations in one event of the events of the story, which is the intention of the infidels to burn the believers and heal them by torturing them, the union of the conclusion of the story in the two revelations in talking about the power of God.

Keywords: owners of the groove, rhetoric, images of meaning, revelations, diversity.

مُقَدِّمَة

بسم الله، والحمد لله المبدئ المعيد، وهو على كل شيء شهيد، والصلاة والسلام على صاحب اللواء المعقود في اليوم الموعود.

أما بعد:

"فالقرآن والحديث يعملان في حياة أهل الأرض بنور متمم لما يعمله نور الشمس والقمر"(١)؛ ولذلك وصى المصطفى – صلى الله عليه وسلم – بالتمسك بهما، وذلك فيما ورد "عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ قَالاَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي، أَحَدُهُمَا أَعْظَمُ مِنَ الآخَرِ: كِتَابُ اللهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ. وَعِتْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي، وَلَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الحَوْضَ، فَانْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونِي فِيهِمَا."(٢)

فأردت عرض قصة "أصحاب الأخدود" بين الوحيين – القرآن الكريم والسنة النبوية – ؛ وصية رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في التمسك والتدبر والعمل؛ بتفسير القصة الواردة في القرآن بما ورد عنها في السنة النبوية؛ للوقوف

(١) وحي القلم، لمصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (ت:١٣٥٦هـ)، (٣/ ٤) دار الكتب العلمية، ط: الأولى(١٤٢١هـ-٢٠٠٠م).

(٢) الجامع الكبير – سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبي عيسى (ت: ٢٧٩هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، [باب مناقب أهل بيت النبي – صلى الله عليه وسلم – (٦/ ١٣٣)، حديث رقم : ٣٧٨٨] ، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط: (١٩٩٨ م).

على صور المعاني المتنوعة بينهما للوصول إلى أعلى درجات العظة المستفادة من القصة؛ إذ إنها لها ما لها من جد أهمية بين قصص العبر؛ بدليل تكرار ذكرها في الوحيين؛ إذ إنها من القصص الذي يدعو للصبر والتصبر؛ لحسن عاقبته؛ ولذلك أردت أن أتعرض لتنوع صور المعنى فيها بين القرآن الكريم والسنة، وقد وسمت البحث بـ[تنوع صور المعنى بين الوحيين في قصة أصحاب الأخدود (دراسة بلاغية)].

أهمية الموضوع:

الكشف عن خصائص التراكيب البلاغية لصور المعاني على تنوعها بين الوحيين في قصة "أصحاب الأخدود".

منهجه:

اعتمدت على المنهج التحليلي البلاغي القائم على الموازنة بين صور المعاني المتحدة في القصة بين القرآن والسنة؛ حيث تجري الدراسة على تناول المعنى الواحد على اختلاف صوره في الوحيين؛ للوقوف على الفروق الدقيقة بينها.

الدراسات البلاغية السابقة:

عثرت على دراستين في قصة "أصحاب الأخدود"

١- [واسمات حِجاج الأخدود (دراسة بلاغية في القصص النبوي)] د: نوال بنت سعود بن صالح الفرهود، حولية كلية اللغة العربية بالزقازيق - جامعة الأزهر، عدد ٣٩، مجلد (١) سنة ٢٠١٩م.

وهي – دراسة - بعيدة كل البُعد عن موضوع دراستي حيث إنها " تُشكل تطبيقًا نظريًا لمفهوم الحجاج وروابطه على قصة "الأخدود" في الحديث النبوي

الشريف" [1] ، بينما دراستي تتناول تنوع صور المعنى في قصة "أصحاب الأخدود" بين الوحيين.

٢- [قصة أصحاب الأخدود في الوحْيَيْن (البيان القرآني وحديث صهيب الرومي في صحيح مسلم) "بين التشابه والاختلاف"]، إعداد: عبد الهادي أحمد سيد عبد العال، مجلة الزهراء- كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات القاهرة، عدد (٣١) لعام ٢٠٢٠م.

وهي دراسة بعيدة عن دراستي حيث إنها تعني بدراسة أوجه التشابه والاختلاف في القصة بين الوحيين، ومحاولة تعليلها، بينما دراستي تتناول تنوع صور المعنى في الوحيين لا مظاهر التشابه والاختلاف.

أسباب اختيار الموضوع:

١- جدة الموضوع، وبكارته، فضلًا عن ندرة الدراسات البلاغية المتخصصة في القصة.

٢- الرغبة في التعرض لقصة من قصص الأمم السابقة، والتي تعد مثلًا يحتذى لصبر وتحمل المؤمنين في سبيل نشر دعوة التوحيد- بعرضها في الوحيين - لالتماس العبرة.

٣- الوقوف على تنوع صور المعنى في قصة "أصحاب الأخدود" بين الوحيين؛ بعرض طريقة تعبير القرآن الكريم والسنة النبوية عن القصة، والوقوف على الدقة المتناهية للأساليب المستخدمة في كل منهما.

---

(١) بحث واسمات حِجاج الأخدود (دراسة بلاغية في القصص النبوي)، د: نوال بنت سعود بن صالح الفرهود، ص٩٥، حولية كلية اللغة العربية بالزقازيق- جامعة الأزهر، عدد ٣٩، المجلد الأول، سنة ٢٠١٩م.

٤- مدى أهمية القصص في الوحيين وتأثيره في المتلقين؛ حيث "إن القصص القرآنية والحديثيَّة تُمثِّل الصورة الواقعية والعملية التي ترسُم التعاليم القرآنية في مشاهد نابضة بالحياة، وكثير من الناس يرون الحقَّ من خلال الواقع العملي أكثر ممَّا يعرفونه من خلال التعاليم المجردة." (١)

مادة البحث تنحصر في:

سُورَةُ البُرُوجِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

{وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ۝١٠ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ۝١١ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ۝١٢ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ۝١٣ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ۝١٤ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ۝١٥ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۝١٦ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ۝١٧ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ۝١٨ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى تَكْذِيبٍ ۝١٩ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ۝٢٠ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ۝٢٢}

(١) صحيح القصص النبوي، د: عمر سليمان عبد الله الأشقر، ص١٥، دار النفائس الأردن، ط: السابعة (١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م).

وأصح رواية لهذه القصة في السنة النبوية ما ورد في رواية صحيح مسلم [1] ونصها:

"حَدَّثَنَا هَدَّابُ بْنُ خَالِدٍ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، حَدَّثَنَا ثَابِتٌ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى، عَنْ صُهَيْبٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ –: "كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ، فَلَمَّا كَبِرَ، قَالَ لِلْمَلِكِ: إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ، فَابْعَثْ إِلَيَّ غُلَامًا أُعَلِّمْهُ السِّحْرَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلَامًا يُعَلِّمُهُ، فَكَانَ فِي طَرِيقِهِ إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ، فَقَعَدَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلَامَهُ، فَأَعْجَبَهُ فَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرَّ بِالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إِلَيْهِ، فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ، فَقَالَ: إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ، فَقُلْ: حَبَسَنِي أَهْلِي، وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ فَقُلْ: حَبَسَنِي السَّاحِرُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتِ النَّاسَ، فَقَالَ: الْيَوْمَ أَعْلَمُ آلسَّاحِرُ أَفْضَلُ أَمِ الرَّاهِبُ أَفْضَلُ؟ فَأَخَذَ حَجَرًا، فَقَالَ: اللهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ، حَتَّى يَمْضِيَ النَّاسُ، فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا، وَمَضَى النَّاسُ، فَأَتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: أَيْ بُنَيَّ أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي، قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى، وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى، فَإِنِ ابْتُلِيتَ فَلَا تَدُلَّ عَلَيَّ، وَكَانَ الْغُلَامُ يُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ، وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الْأَدْوَاءِ، فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ، فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ، فَقَالَ: مَا هَاهُنَا لَكَ أَجْمَعُ، إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي، فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ، فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِاللهِ دَعَوْتُ اللهَ فَشَفَاكَ، فَآمَنَ بِاللهِ فَشَفَاهُ اللهُ، فَأَتَى الْمَلِكَ، فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ؟ قَالَ: رَبِّي، قَالَ: وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي؟ قَالَ: رَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ،

(١) ينظر: بيان المعاني [مرتب حسب ترتيب النزول]، لعبد القادر بن ملّا حويش السيد محمود آل غازي العاني (ت: ١٣٩٨هـ)، (١/ ٢٢٦)، مطبعة الترقي – دمشق، ط: الأولى(١٣٨٢ هـ – ١٩٦٥ م).

فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الْغُلَامِ، فَجِيءَ بِالْغُلَامِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: أَيْ بُنَيَّ قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ، وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ، فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا، إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ، فَجِيءَ بِالرَّاهِبِ، فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى، فَدَعَا بِالْمِنْشَارِ، فَوَضَعَ الْمِنْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيسِ الْمَلِكِ، فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى فَوَضَعَ الْمِنْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلَامِ فَقِيلَ لَهُ ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلِ كَذَا وَكَذَا، فَاصْعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ، وَإِلَّا فَاطْرَحُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ، فَصَعِدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَقَالَ: اللهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَرَجَفَ بِهِمِ الْجَبَلُ فَسَقَطُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللهُ، فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ، فَاحْمِلُوهُ فِي قُرْقُورٍ، فَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَاقْذِفُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ، فَقَالَ: اللهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَانْكَفَأَتْ بِهِمِ السَّفِينَةُ فَغَرِقُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللهُ، فَقَالَ لِلْمَلِكِ: إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ، قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَتَصْلُبُنِي عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي، ثُمَّ ضَعِ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قُلْ: بِاسْمِ اللهِ رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ ارْمِنِي، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي، فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَصَلَبَهُ عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قَالَ: بِاسْمِ اللهِ، رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ فَمَاتَ، فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، فَأُتِيَ الْمَلِكُ، فَقِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ؟ قَدْ – وَاللهِ – نَزَلَ بِكَ حَذَرُكَ، قَدْ آمَنَ النَّاسُ، فَأَمَرَ بِالْأُخْدُودِ فِي أَفْوَاهِ السِّكَكِ، فَخُدَّتْ وَأَضْرَمَ النِّيرَانَ، وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَأَحْمُوهُ فِيهَا،

أَوْ قِيلَ لَهُ: اقْتَحِمْ، فَفَعَلُوا حَتَّى جَاءَتِ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا، فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا، فَقَالَ لَهَا الْغُلَامُ: يَا أُمَّهْ اصْبِرِي؛ فَإِنَّكِ عَلَى الْحَقِّ"(١)

خطة البحث:

واقتضت طبيعة البحث أن يقع في مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث على النحو التالي:

المقدمة: وتضم: أهمية الموضوع وأسباب اختياره ومنهجه وخطته.

التمهيد: تنوع صور المعنى في الوحيين وقصة أصحاب الأخدود.

ويضم:

أولاً: تنوع صور المعنى القصصي في الوحيين.

ثانيًا: أحداث القصة في الوحيين.

المباحث :

المبحث الأول: تنوع مطلع القصة بين الوحيين وصلته بالمقصد.

المبحث الثاني: تنوع التعبير عن أحداث قصة أصحاب الأخدود بين الوحيين.

المبحث الثالث: تنوع التعبير عن خاتمة قصة أصحاب الأخدود بين الوحيين.

الخاتمة، فهرس المصادر، والمراجع .

---

(١) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، لمسلم ابن الحجاج أبي الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، [بَابُ قِصَّةِ أَصْحَابِ الْأُخْدُودِ وَالسَّاحِرِ وَالرَّاهِبِ وَالْغُلَامِ، حديث رقم (٣٠٠٥) (٤/ ٢٢٩٩)] ، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

التمهيد

تنوع صور المعنى في الوحيين وقصة أصحاب الأخدود

ويضم:

أولاً: تنوع صور المعنى القصصي في الوحيين.

ثانيًا: أحداث القصة في الوحيين.

أولًا: تنوع صور المعنى القصصي في الوحيين. :

١- تنوع صور المعنى القصصي في القرآن الكريم:

جرت عادة القرآن الكريم على تعدد وتكرار المعاني في القصص؛ وذلك بالتعبير عن القصص بصور متنوعة في مواضع عدة؛ قصدًا لأغراض معينة منوطة من هذا التعدد، ولكن في كل موضع بخصوصية معينة، "فأنت ترى أن القصة في القرآن كأنها تتكرر في أكثر من موطن، والحقيقة أنها لا تتكرر، ولكن يعرض في كل موطن جانبًا منها بحسب ما يقتضيه السياق، وبحسب ما يراد من موطن العبرة والاستشهاد" (١)

في حين أن هناك من القصص ما لم يذكر في القرآن الكريم سوى مرة واحدة كقصة أصحاب الأخدود وأصحاب الكهف، وذي القرنين، وقد كان ورود هذا القصص على هذا النحو من الذكر المنفرد – وافيًا بالغرض المقصود على الوجه الأكمل، فضلًا عن كونه من أبرز أسرار الإعجاز القرآني؛ "ولعل السر في عدم التكرار لتلك القصص التي لم تكرر– أن جميع هذه القصص إنما قصد بها مجرد الإعلام

---

(١) التعبير القرآني، د: فاضل صالح السامرائي، ص٢٨٣، دار عمار – عمان، ط: الرابعة (١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م).

والإخبار، وهذا يتحصل في المرة الواحدة، فعلم النبي – صلى الله عليه وسلم – يحصل بمجرد الإخبار من هنا، فلا حاجة إلى التكرار في مثل هذا القص."[1]

وهناك أمور يجب مراعاتها في دراسة البلاغة القرآنية جمعها أستاذنا الدكتور علي عيسى في عشرة أسس، هي ما يلي – على سبيل الإجمال – :

الأساس الأول: استحضار القائل، وما يلزم كلامه من استغراق صفاته وبيان موجباته...

الأساس الثاني: النظرة الكلية التكاملية التي تعني بالتضام بين أجزائه...

الأساس الثالث: استلزام كل جملة في القرآن الكريم للإقناع والإمتاع، واقتضاؤها الحجاج الجمالي...

الأساس الرابع: بناء القرآن الكريم على نسق بناء الكون، من حيث البناء المعنوي والأسلوبي على أساس نواة تبنى عليها المعاني والأساليب...

الأساس الخامس: الامتزاج – في البلاغة القرآنية وحدها – بين السمع والبصر والكتابة في وحدة لا تنفك في تأدية حق المعنى...

الأساس السادس: اطراد التصريف الأسلوبي على المعنى الواحد ثنائيًا فصاعدًا؛ أي تعاور الأساليب على المعنى الواحد...

الأساس السابع: تعاضد زمن التنزل والنزول – مع تنوعه – إلى اكتمال القصد الرئيس...

الأساس الثامن: بناء النظم القرآني بشقيه – المعاني والأساليب – على الاتصال الدائري...

---

(١) أسلوب القرآن الكريم بين الهداية والإعجاز البياني، د/ عمر محمد عمر باحاذق، ص٢٣٩، دار المأمون للتراث، (دمشق – بيروت) ط: الأولى (١٤١٤هـ – ١٩٩٤م).

الأساس التاسع: البناء التركيبي للقرآن الكريم على نظم بديع يستوعب طبقات العقول السليمة جميعها، ويحتوي الأزمنة والأمكنة كلها...

الأساس العاشر: صلاحية السياق القرآني للتنوع في صور؛ فذاك السياق القرآني – عند المحققين – أشبه بالماس والجواهر ذات التلألؤ المتنوع عند التقليب، فحيثما قلبته أعطاك غورًا مغايرًا أو متراكبًا أو متضادًا...[1]

٢- تنوع صور المعنى القصصي في السنة النبوية:

القصة في السنة النبوية التي جاءت على لسان الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم – تسير في نفس مسار القصص القرآني، من حيث الذكر إفرادًا وتعددًا، وتقتفي أثره؛ إذ كلاهما من عند الله، فمما لا شك فيه أن المصطفى – صلى الله عليه وسلم – يستمد ملكته الخطابية في السنة النبوية من الخطاب الإلهي؛ فيفسر للمسلم قرآنه، ويوضح له ما استشكل عليه من أمور وأحكام فـ" نسق البلاغة النبوية إنما هو في أكثر الحدِّ الإنساني من ذلك الإعجاز، يعلو كلام الناس من جهة وينزل عن القرآن من جهته الأخرى."[2]

وبذلك يكون الحديث النبوي عامة والقصصي منه خاصة يمثل أعلى سنام البلاغة البشرية المستمدة من القرآن السائرة على نهجه المفسرة له؛ لأنه يستمد مادته من الوحي الإلهي، فلابد أن تكون بلاغته نابعة من بلاغة القرآن الكريم،

---

(١) ينظر: أصول البحث في خصوصية بلاغة النظم الكريم، بقلم/ أد. علي عبد الحميد أحمد عيسى، مقالة منشورة على موقع:

https://www.facebook.com/photo/?fbid=268997736641354&set=a.108082419399554&__tn__=%3C

(٢) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، لمصطفى صادق الرافعي، ص٣٤١، دار الكتاب العربي (بيروت – لبنان)، ط: التاسعة (١٣٩٣هـ – ١٩٧٣م).

ممتزجة بها، كاشفة عن حقائق القصص القرآني المجملة.

وهناك عدة أسس يجب مراعاتها أثناء البحث البلاغي في الحديث النبوي، وهي ما يلي:

الأساس الأول: التركيز في بناء الحديث النبوي على دقة التفاصيل الغنية بالنكات البلاغية الكاشفة عن حقائق القصص القرآني المجمل.

الأساس الثاني: مراعاة الترابط التام بين أجزاء الحديث؛ لكونه وحدة مفرغة.

الأساس الثالث: دقة ووضوح أسلوب الحديث النبوي، الذي يقترب من الأفهام، ويقيم الحجة على المعاندين.

ثانياً: أحداث القصة في الوحيين.

١ـ أحداث القصة في القرآن الكريم

وردت قصة أصحاب الأخدود في سورة البروج التي نزلت " لتثبيت المؤمنين على ما هم عليه من الإيمان، وتصبيرهم على أذية الكفرة، وتذكيرهم بما جرى ممن تقدمهم من التعذيب لأهل الإيمان وصبرهم على ذلك؛ حتى يأنسوا بهم، ويصبروا على ما كانوا يلقون من قومهم، ويعلموا أنهم مثل أولئك عند الله -عز وجل- في كونهم ملعونين مطرودين، فالقتل هنا عبارة عن أشد اللعن والطرد؛ لاستحالة الدعاء منه – سبحانه – حقيقة فأريد لازمه من السخط والطرد عن رحمته جل وعلا."[(١)]

سورة البروج بدأت بالحديث عن أهوال يوم القيامة الدالة على قدرة الله، ثم تحدثت عن قصة أصحاب الأخدود وبديع حكمته – سبحانه وتعالى- في الفصل بين

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، (١٥/ ٢٩٧)، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى (١٤١٥هـ).

طرفيها، ثم ختمت بضرب أمثلة أخرى دالة على عظيم قدرته وعدالته – سبحانه – بالإشارة السريعة لقصتي فرعون وجنوده، وعاد وثمود، والذي يعنيني هنا قصة أصحاب الأخدود مناط بحثي.

آيات القصة في السورة:

قوله تعالى: {قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ ۝٥ إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ ۝٦ وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٞ ۝٧ وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ۝٨ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ۝٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ ۝١٠ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡكَبِيرُ ۝١١ إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ۝١٢ إِنَّهُۥ هُوَ يُبۡدِئُ وَيُعِيدُ ۝١٣ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ۝١٤ ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ۝١٥ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ۝١٦} [البروج: ٤ – ١٦].

وذلك خلافًا لما ورد عن الدكتورة: نوال بنت سعود بن صالح الفرهود من أن القصة تتمثل في قوله تعالى:

{وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ ۝١ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ ۝٣قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ ۝٥ إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ ۝٦ وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٞ ۝٧ وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ۝٨ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ۝٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ۝١٠}[البروج: ١ – ١٠] [(١)].

لأنها بذلك أدخلت قسم المولى – عز وجل – بأهوال يوم القيامة كمظهر من مظاهر قدرته الذي انطلق منه لقصة أصحاب الأخدود، كما أنها أغفلت ما

(١) بحث [واسمات حِجاج الأخدود (دراسة بلاغية في القصص النبوي)] ص١٠٢.

أعده الله للمؤمنين من حسن الجزاء على ثباتهم على الإيمان، وتحمل عذاب الحريق، بالإضافة إلى إغفالها أهم صفات الذات العلية التي تشير إلى عدالته – سبحانه – في الفصل بين أهل الحق والباطل.

معنى القصة في السورة:

أقسم الحق– تبارك وتعالى– بالسماء ذات النجوم التي كانت ضياء وزينة، ورجومًا للشياطين، وهي مع ذلك أبنية فخمة تدل على قدرة صانعها الحكيم، كما أقسم – تبارك وتعالى– باليوم الموعود الذي وعدنا به، وهو يوم القيامة، وأقسم كذلك بكل الخلائق والعوالم الشاهد منها والمشهود، فله – سبحانه – في كل شيء من ذلك دلالة على وحدانيته.

فأقسم الحق– تبارك وتعالى– بهذه الأشياء، وجاء بقصة أصحاب الأخدود – من باب ضرب المثل، والتدليل على جواب القسم المقدر، وهو ابتلاء المؤمنين والمؤمنات قديمًا بالعذاب والفتنة والبلاء من أعدائهم الكفار– الذين شقوا للمؤمنين أخدودًا في الأرض، أضرموا فيه النيران ذات الوقود الشديد اللهب، وألقوا فيها كل ما يضرمها ويؤججها، ثم جاءوا بالمؤمنين، وألقوهم في النار.

وقد كانوا قساة القلوب، فجلسوا يضحكون فرحين بإلقاء المؤمنين في النار، وهم على ما يفعلون بالمؤمنين من كبائر الإثم وفظائع الجرم شهود وحضور! وما فعل هؤلاء المؤمنون حتى يلقوا في النار؟ لم يفعلوا شيئًا أبدًا، وما نقموا، ولا عابوا عليهم إلا أنهم آمنوا بالله العزيز الحميد، يا سبحان الله! ما كان سببًا في السعادة والخير، يكون سببًا في القتل والإحراق والتعذيب بالنيران! ولكن تلك طبيعة البشر قديمًا وحديثًا، وهذا صراع الحق والباطل.

هؤلاء المؤمنون آمنوا بالله وإن كفر به بعض خلقه، فهل يترك المؤمنين نهبًا للكفار والمشركين يفعلون معهم الأباطيل ويذيقونهم العذاب ألوانا؟! لن يكون هذا أبدا.

إن الذين فتنوا المؤمنين بالتعذيب، ثم لم يتوبوا، فلهم عذاب جهنم، ولهم عذاب الحريق، أما المؤمنون العاملون فلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار، وذلك هو الفوز العظيم، ولا عجب في هذا كله، فربك بطشه بالكفار شديد، وهو القادر على كل شيء، الذي يبدئ الخلق ثم يعيد، وهو الغفور لمن تاب، الودود لمن أطاع، صاحب الملك والسلطان بيده الأمر وهو الفعال لما يريد.[1]

شخصيات القصة في القرآن:

أصحاب الأخدود، المؤمنون. على سبيل الإيجاز كعادة القرآن الكريم في الإيجاز المعجز.

٢- أحداث القصة في السنة النبوية

ومعنى الحديث واضح ولا يحتاج شيء فيه للتفسير سوى كلمة: قرقور المراد بها: "ضرب من السفن، وقيل: هي السفينة العظيمة أو الطويلة، والقرقور من أطول السفن." [2]

شخصيات القصة في الحديث النبوي برواية مسلم:

الملك، الساحر، الغلام، الراهب، أهل الغلام، الدابة العظيمة، الناس الحبيسة بسبب الدابة العظيمة، جليس الملك، أصحاب الملك الصاعدون مع الغلام الجبل، أصحاب الملك الحاملون للغلام في قرقور متوسطين به البحر، الأناس المجتمعون في صعيد واحد، جنود الملك، من آمنوا بعد مقتل الغلام، المرأة وصبيها.

---

(١) ينظر: التفسير الواضح، للحجازي، محمد محمود، (٣/ ٨٤٧ : ٨٤٨)، دار الجيل الجديد – بيروت، ط: العاشرة (١٤١٣هـ).

(٢) لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن على، أبي الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي(ت: ٧١١هـ)، (٥/ ٩٠)، دار صادر – بيروت، ط: الثالثة (١٤١٤هـ).

ومن خلال عرض معنى وشخصيات القصة في الوحيين يظهر أول فارق بينهما، وهو الإجمال في القرآن، والتفصيل في الحديث النبوي؛ حيث إن القرآن أجمل المؤمنين في حين فصلهم الحديث النبوي في شخصيات عدة تمثلت في: (الراهب، والغلام، وجليس الملك، ومن آمنوا بعد مقتل الغلام، والمرأة وصبيها)، كما جمع في القرآن أصحاب الأخدود في حين أن الحديث أشار إلى أن الآمر بشق الأخاديد واحد، وهو الملك بمعاونة جنوده؛ وكأن القرآن رأى فيه عدة طغاة اجتمعت فيهم كل نوازع الظلم ممثلة في شخصية واحدة، وهي شخصية الملك، ومن أهم الفوارق أيضًا ذكر سبب القصة صراحة في الحديث النبوي، وعدم ذكره في القرآن على عادته في الإيجاز في القصص.

المبحث الأول

تنوع مطلع القصة بين الوحيين وصلته بالمقصد.

المقصد من القصة:

تثبيت المؤمنين على الحق، وتصبيرهم على أذى الكافرين[1]؛ حيث تظهر في هذه القصة أسمى معاني التضحية؛ وهي التضحية بالنفس في سبيل العقيدة والإيمان ورفع راية الدين الحق.

أولاً: مطلع القصة في القرآن الكريم:

يتمثل في قوله تعالى: { قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ } [البروج: ٤].

ثانيًا: مطلع القصة في السنة النبوية .

يتمثل في قوله – صلى الله عليه وسلم – "كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ، فَلَمَّا كَبِرَ، قَالَ لِلْمَلِكِ: إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ، فَابْعَثْ إِلَيَّ غُلَامًا أُعَلِّمْهُ السِّحْرَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلَامًا يُعَلِّمُهُ."

مطلع القصة في القرآن وصلته بالمقصد:

مطلع القصة في القرآن يشير إلى عاقبة أصحاب الأخدود على سوء صنيعهم؛ حيث تبدأ القصة بـ" الإشارة إلى الحادث بإعلان النقمة على أصحاب الأخدود: { قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ }.. وهي كلمة تدل على الغضب – غضب الله على الفعلة وفاعليها – كما تدل على شناعة الذنب الذي يثير غضب الحليم،

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: ٦٠٦هـ)، (٣١/ ١٠٦)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الثالثة (١٤٢٠ هـ)،

وينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: ٨٨٥هـ)، (٢١/ ٣٥٢)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

ونقمته، ووعيده بالقتل لفاعليه." [١] ومما يؤكد ذلك افتتاح المطلع واختتامه بحرفي (القاق، والدال) وما فيهما من معنى القوة [٢] الدالة على قوة أخذه – سبحانه – لهؤلاء الكفرة؛ ليتناسب بذلك قوة مطلع القصة مع قوة بطشه – سبحانه – التي ختم بها القصة في قوله: { إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ } [البروج: ١٢]، وبذلك تكون القصةحلقة مفرغة من معاني القوة الناصرة لأهل الحق، المقتصة من أهل الضلال .

صلة المطلع بالمقصد هنا تظهر في ثلاث علاقات هي:

١ – الإجمال والتفصيل.

٢ – التناظر والتماثل.

٣ – التعليل.

أولاً: علاقة الإجمال والتفصيل [٣]

الإجمال وقع في مقصد القصة بتثبيت المؤمنين، والتفصيل يظهر في الكشف عن نوع العقاب النازل بأعدائهم – أصحاب الأخدود – المثبت لهم على الحق في مطلع القصة لتحمُل العذاب؛ لأنه من الطبعي أن الإنسان إذا عرف عاقبة ظالمه، سكنت نفسه واطمأنت، وثبتت وتحملت الكثير؛ ليقينها بنصرة الله للحق وقصاصه من أهل الباطل.

---

(١) في ظلال القرآن، لسيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت: ١٣٨٥هـ)، (٦/ ٣٨٧٣)، دار الشروق – بيروت– القاهرة، ط: السابعة عشر (١٤١٢هـ).

(٢) ينظر: التمهيد في علم التجويد، لشمس الدين أبي الخير، ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت: ٨٣٣هـ)، تحقيق: د/على حسين البواب، ص٨٦، مكتبة المعارف، الرياض، ط: الأولى (١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥م).

(٣) ينظر: حاشية الدسوقي على شرح السعد، (٣/ ٢١٤)، دار إحياء الكتب العربية، مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر.

وصدر التفصيل بلفظ (القتل) لما فيه من البشاعة والقسوة التي تتناسب مع بشاعة وقسوة فعل أهل الكفر والضلال مع المؤمنين؛ التي فصلتها القصة حال سرد أحداثها.

وجاء بفاصلة المطلع على حرف (الدال) المفعم بالقوة [١] تناسبًا مع عظم قدرة الله في البطش بالكفرة أعداء الدين، وأخذهم أخذ عزيز مقتدر، بالإضافة إلى ما في فاصلة (الدال) من رائحة الصلابة، فهو أصلح الحروف للتعبير عن معاني الشدة والفعالية الماديتين [٢] التي تجسد شدة المولى – عز وجل – وعدالته في الوفاء بحق العباد حيال من يعتدون عليهم، فلم يكتف – سبحانه – بالعقاب الحسي لهؤلاء الظلمة في الآخرة، وإنما أتبعه بالعقاب المعنوي في الدنيا؛ الذي تمثل في حكاية قصتهم في القرآن؛ ليكونوا عبرة على مر الزمان.

وتبرز بلاغة الإجمال والتفصيل بين المطلع والمقصد في تثبيت مقصد القصة في أذهان السامعين؛ للثبات على كلمة الحق وعدم المبالاة بإيذاء أهل الباطل؛ لأنه مهما طال هذا الإيذاء فمصيره إلى زوال؛ فضلًا عما يكمن في تحمله من رفع الدرجات في الدار الباقية مناط اهتمام المؤمن في هذه الدار الفانية.

ثانيًا: علاقة التناظر والتماثل:

يظهر التناظر والتماثل بين مقصد ومطلع القصة في تناظر وتماثل كلٍّ من العقاب الواقع بالمؤمنين – المقصود ثباتهم إيذاءه – والعقاب الواقع بأعدائهم؛ فهما من جنس واحد من العقاب؛ وهو الإحراق بالنار، فهؤلاء الجبابرة القاتلون كان جزاؤهم من جنس عملهم.

---

(١) ينظر: التمهيد في علم التجويد ص٨٦.

(٢) ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها – دراسة – ، لحسن عباس، ص٦٧، منشورات اتحاد الكتاب العربي، ط: ١٩٩٨م.

وعبر عن عقاب الكفار وطردهم من رحمته بـ(القتل) في قوله: { قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ }؛ ليكون جزاؤهم من جنس عملهم؛ حيث إنهم قصدوا من شق الأخاديد وإضرام النار بها تعذيب المؤمنين بالنار وقتلهم أشنع قتلة؛ فأذاقهم الله من نفس كأس العذاب الذي أعدوه للمؤمنين فعُذبوا به في الآخرة، في حين جزى الله المؤمنين على تحمل عذاب الإحراق في الدنيا بالإحياء شهداء في الآخرة، والفوز بجنة الخلد.

وبنى جملة المطلع في القصة على حذف المسند إليه؛ لتحقق تعينه [1] – سبحانه – فهو الوحيد القادر على الانتقام من أعدائه، ورد كيدهم في نحورهم دنيا وآخرة؛ نصرة لدينه الحق بجعل الجزاء من جنس العمل على حد التناظر والتماثل.

وتظهر بلاغة علاقة التناظر والتماثل بين المطلع والمقصد في القصة في الكشف عن عدالة المولى – عز وجل – في الفصل بين خلقه الظالم منهم والمظلوم، بكون إيذاء الكافرين مردودًا عليهم.

ثالثا: علاقة التعليل:

وقع مطلع القصة قوله تعالى: { قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ } تعليلًا للمقصد وهو تثبيت المؤمنين وتصبيرهم على تحمل العذاب بما سيقع على معذبيهم من قتل باللعن [2] والطرد من رحمة الله في الدارين، فتثبيت المؤمنين – مقصد القصة –

---

(١) ينظر: التلخيص في علوم البلاغة، للإمام: جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني الخطيب، تحقيق: عبد الرحمن البرقوقي، ص٥٤، دار الفكر العربي، ط: الأولى (١٩٠٤م).

(٢) [القتل] : كل قتل في القرآن فهو لعن يعنى به الكفار.

الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)، لأيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبي البقاء الحنفي (ت:١٠٩٤هـ)، تحقيق: (عدنان درويش، محمد المصري)،ص٧٠٢، مؤسسة الرسالة . بيروت.

مسبب عن قتل أعدائهم لعنًا وطردًا من رحمة الله – مطلع القصة – ؛ للانتقام منهم على ما أنزلوه بالمؤمنين من شديد العذاب.

وذكر الدكتور/ سعيد عبد العظيم، في كتابه "قصص القرآن عظات وعبر" أن مطلع القصة قوله تعالى: { قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ } يحتمل أن يكون جملة خبرية أو إنشائية، فإن كان جوابًا للقسم المتقدم في مطلع السورة كان جملة خبرية، أما إن لم يكن جوابًا للقسم فهو جملة إنشائية[1] قُصد منها الدعاء على أصحاب الأخدود.

وأرجح كون جملة المطلع جملة خبرية تقرر تحقق قتل هذه الفئة طردًا من رحمة الله؛ وانتقامًا لأرواح المؤمنين؛ ومما يؤكد ذلك ما ورد عن الإمام الآلوسي في روح المعاني أثناء تفسيره لسورة البروج من قوله: "فالقتل هنا عبارة عن أشد اللعن والطرد لاستحالة الدعاء منه –سبحانه– حقيقة، فأريد لازمه من السخط والطرد عن رحمته جل وعلا"[2]؛ تعليلًا لما بدر منهم في حق المؤمنين؛ مما يقرر ويعمق إحساس المؤمنين بالثبات الذي يُعينهم على تحمل أذى الكافرين، وبذلك يتناسب كون المطلع على هذا النحو من الخبرية مع تعليل المقصد من القصة. وجاء المطلع هنا خبرًا ابتدائيًا [3] خاليًا من التأكيد؛ لأنه ملقى إلى فئة خالية الذهن من مضمون الخبر؛ ولذلك ألقي إليهم خاليًا من التأكيد لخلو ذهنهم من مضمونه؛ مما يؤكد تثبيته لهم بالتعليل الذي لم يخطر ببالهم من قبل.

---

(١) ينظر: قصص القرآن عظات وعبر، د: سعيد عبد العظيم، ص٤٠٦، دار العقيدة، ط: الأولى(١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م).

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١٥/ ٢٩٧).

(٣) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، لمحمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبي المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (ت: ٧٣٩هـ)، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، (٢/ ١٩٥)، دار الجيل – بيروت، ط: الثالثة.

مطلع القصة في السنة النبوية وصلته بالمقصد:

مطلع القصة في السنة النبوية يتمثل في قوله – صلى الله عليه وسلم – "كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ، فَلَمَّا كَبِرَ، قَالَ لِلْمَلِكِ: إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ، فَابْعَثْ إِلَيَّ غُلَامًا أُعَلِّمْهُ السِّحْرَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلَامًا يُعَلِّمُهُ."

صلة المطلع بالمقصد هنا تظهر في ثلاث علاقات هي:

١ – الإجمال والتفصيل.

٢ – الترقي.

٣ – التعليل.

أولاً: علاقة الإجمال والتفصيل:

الإجمال وقع في مقصد القصة حيث أراد النبي – صلى الله عليه وسلم – تثبيت المؤمنين على الإيمان، وتحمل العذاب في سبيله بالتفصيل في مطلع القصة – هنا – الكاشف عن حقيقة أهل الكفر وأساس عقيدتهم القائمة على الباطل المتمثل في حيل السحر والسحرة، التي تصور الأمور على خلاف حقيقتها؛ مما يوجب عدم موالاتهم والبُعد عنهم لفساد عقيدتهم؛ حيث إن عقيدتهم تقوم على السحر، الذي هو ضرب من الكفر.

ومن العوامل التي تضافرت مع التفصيل في مطلع القصة، تنكير المسند إليه الكاشف بالتفصيل عن حال كلٍّ من الملك والساحر في قوله – صلى الله عليه وسلم – "كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ" ، فنكر (مَلِك، سَاحِر) للإفراد [١] والتحقير [٢]، أي: فرد من أفراد الملوك والسحرة حقير؛ بحقارة أفعالهم؛ إذ إنهم يعتمدون على السحر في إقامة الملك والسيطرة على الرعية بالباطل، هذا فضلًا عن أنه لا يتعلق بتعريفه غرض، فليس هناك فائدة كبيرة في معرفة شخص الملك

---

(١) الإيضاح (٢/ ٣٥)(بتصرف يسير).

(٢) السابق (٢/ ٣٦).

أو الساحر ... ، بالإضافة إلى تقديم المسند (لَهُ) في قوله – صلى الله عليه وسلم – : "وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ" لقصد "الاختصاص"[١] ، أي: اختصاص المسند إليه – وهو الساحر– بهذا الملك وقيامه على شئون ملكه بالسحر، فهذا الساحر مقصور على هذا الملك وشئون ملكه دون غيره؛ مما يفصل مدى قوة وسرية العلاقة بين الملك والساحر في السيطرة على المملكة بفعل السحر.

وقال: (أُعَلِّمُهُ السِّحْرَ) لما في التعليم من معنى العموم [٢] حيث إن التعليم يكون في كل شيء دون استثناء؛ مما يفصل بدقة حرص الساحر على إلمام الغلام بكل ما يمَّكنه من السيطرة على كل شيء يحقق استقرار ملك الملك في مملكته؛ كما اعتاد دومًا.

ثانيًا: علاقة الترقي:

يظهر الترقي بين المقصد والمطلع هنا في أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قصد من القصة التثبيت على الإيمان والترقي في مدارجه بتحمل العذاب والإيذاء في سبيل رفع راية الدين الحق، كما يظهر الترقي في مطلع القصة بالارتفاع بُعدًا وارتقاءً عن اتباع الباطل القائم في أساسه على السحر الذي كشف عنه مطلع القصة.

ثالثا: علاقة التعليل:

تظهر في كون الثبات على الإيمان – مقصد القصة – مسببًا عن معرفة

---

(١) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ليحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد باللَّه (ت: ٧٤٥هـ)، (٢/ ٣٨)، المكتبة العصرية – بيروت، ط: الأولى(١٤٢٣ هـ).

(٢) ينظر: الفروق اللغوية، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت: نحو ٣٩٥هـ)، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، ص٨٢، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة –مصر.

حقيقة هذا الملك الظالم المعتمد على السحر في إقامة ملكه جيلًا فجيلًا – مطلع القصة – ؛ فجاء مطلع القصة تعليلًا لمقصدها.

ومما جاء متضافرًا مع علاقة التعليل بين المطلع والمقصد تصدير جملة التعليل في قوله – صلى الله عليه وسلم – على لسان الساحر: "فَابْعَثْ إِلَيَّ غُلَامًا أُعَلِّمْهُ السِّحْرَ" في قوله: "إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ، فَابْعَثْ إِلَيَّ غُلَامًا أُعَلِّمْهُ السِّحْرَ" بالفاء التي تنفخ في الأمر معنى الجد والمسارعة [1]؛ فلا يدع المخاطب مهلة بعد سماعة للأمر إلا ويسارع لامتثاله.

بالإضافة إلى كون الجملة الأخيرة في المطلع قوله: "فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلَامًا يُعَلِّمُهُ" مسببة عما قبلها في قوله: "فَابْعَثْ إِلَيَّ غُلَامًا أُعَلِّمْهُ السِّحْرَ"، فصدر هذه الجملة بفاء التعليل؛ لأن الفاء تُخرج العلة مخرج الأمر الذي لا ينكره المخاطب، ولا يتردد فيه[2]؛ لتؤكد تسليم الملك للساحر، وانقياده لأوامره دون تفكير أو تردد؛ حرصًا على بقاء ملكه بفرض السيطرة على الرعية عن طريق السحر.

وقال: (فابعث إلي غلامًا) ولم يقل: (فأرسل إلي غلامًا)؛ تعليلًا لاختصاص الأمر برمته بالملك؛ لأن البعث بالشيء يكون لحاجة تخص الباعث دون المبعوث إليه أو غيره من الأشخاص، بينما الإرسال لا يكون إلا برسالة أو ما يجري مجراها[3]؛ مما يعلل اختصاص الملك بالمنفعة في هذا الأمر دون غيره.

وخص السحر بالذكر – هنا – ؛ لخفاء طريقته؛ لأنه حيلة دقيقة لا تفطن طريقتها، بالإضافة إلى عموم اختصاصه بسرعة وبطئ التمويه وتخيل الشيء على

(١) ينظر: من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم "الفاء ، ثم"، د/ محمد أمين الخضري، ص١٤٦، مكتبة وهبة، ط: الأولى (١٤١٤هـ – ١٩٩٣م).

(٢) ينظر: السابق ص١١٤.

(٣) ينظر: الفروق اللغوية ص٢٨٩.

خلاف حقيقته[1]، فالسحر هنا علل وكشف بيسر سبب فساد عقيدة أهل الباطل في تلك القصة.

وبذلك تنوع مطلع القصة بين الوحيين، وتنوعت علاقاته بالمقصد اتحادًا في علاقتي (الإجمال والتفصيل، والتعليل) ، وافتراقًا في علاقتي (التناظر والتماثل، والترقي).

(١) ينظر: السابق ص ٢٥٧.

المبحث الثاني

تنوع التعبير عن أحداث قصة أصحاب الأخدود بين الوحيين

تنوع التعبير عن أحداث القصة بين الوحيين بما يحقق الغاية المقصودة على أكمل وجه كما سيتبين من خلال العرض والتحليل.

أولاً: أحداث القصة في سورة البروج تتمثل في قوله تعالى:

{ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ۝١٠ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ۝١١ }[البروج ٥ : ١١].

وهذه الأحداث تجسد ما يلي:

١- وصف النار التي أعدت لإحراق المؤمنين.

٢- تعمد الكفار تحريق المؤمنين والتشفي بتعذيبهم.

٣- سر تعذيب المؤمنين بالإحراق.

٤- جزاء الكفار.

٥- جزاء المؤمنين.

أولاً: وصف النار التي أعدت لإحراق المؤمنين:

يتمثل في قوله تعالى: { ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ } [البروج ٥].

بني الوصف هنا على الجملة الاسمية التي تفيد الثبوت [١] ليؤكد ثبات شدة عذاب النار، واستمراره بما يلقى فيها من وقود متجدد.

وجاء بالوصف بطريق التجريد[٢] في قوله: { ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ } كأن النار انتزع منها نار أخرى ذات وقود مثلها[٣] من شدة لهيبها واستمراره دون انقطاع؛ كأنها يتولد منها غيرها، فلا ينقطع لهيبها.

وتبرز بلاغة التجريد هنا في "المبالغة"[٤] في وصف شدة لهيب النار.

و"النار" هنا بدل اشتمال من "الأخدود"[٥] ؛ لأن الكفار عندما أوقدوا النار في الأخدود "حتى ملأوه نارًا، صارت النار بدلًا في التعبير من الأخدود للإيحاء بتلهب النار فيه كله وتوقدها"[٦]

" فرد "النار" على "الوقود" مع أنها غيره؛ للتعبير على أنه لا يخمد لهيبها؛

(١) ينظر: دلائل الإعجاز، للشيخ الإمام: أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي، تحقيق: أبي فهر، محمود شاكر، ص١٧٤، مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة، ط: الثالثة (١٤١٣هـ-١٩٩٢م).

(٢) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، ، لبهاء الدين السبكي، (٣٤٨/٤)، دار إحياء الكتب العربية، مطبعة: عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر.

(٣) ينظر: بحث تفسير سورة البروج دراسة تحليلية ، د : أحمد نبيه المكاوي حجير، كلية التربية جامعة الأزهر، عدد١٤٦، مجلد ٧، ص٥٠٨، سنة ٢٠١١م.

(٤) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (٣٤٨/٤).

(٥) ينظر: نتائج الفكر في النحو، لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (ت: ٥٨١هـ)، ص٢٤٠، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى: (١٤١٢هـ – ١٩٩٢م) .

(٦) في ظلال القرآن (٦/ ٣٨٧٣).

لأن لها وقودًا يلقى فيها كلما هدأت" [1] حرصًا من الكافرين على استمرار اشتعالها؛ ترهيبًا للمؤمنين في البداية قبل إلقائهم فيها، بالإضافة إلى التشفي بتعذيبهم بشدة لهيبها حال إلقائهم في تلك النار.

وفي التعبير بقوله: { ذَاتِ ٱلْوَقُودِ } تعظيم لأمر الحطب الكثير الذي كان في ذلك الأخدود[2] وبذلك تتجلى بلاغة الإعجاز القرآني في وصف النار المعدة لتعذيب المؤمنين في قصة أصحاب الأخدود؛ مما يصور بشاعة الكافرين ورغبتهم الانتقامية من المؤمنين التي وصلت ذروتها.

ثانيًا: تعمد الكفار تحريق المؤمنين والتشفي بتعذيبهم:

يتمثل في قوله تعالى: { إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ۝٧} [البروج ٧ : ٨]

تصور الآيتان السابقتان تعمد الكفار تحريق المؤمنين تشفيًا؛ ومما يؤكد ذلك تصدير الحدث بـ(إِذْ) الظرفية [3] المحتملة للزمان والمكان؛ للتسجيل على هؤلاء الكفرة التحريق ومعاينته مكانًا وزمانًا بالقعود والمشاهدة.

وعبر عن المسند إليه بضمير الغائب قوله: (هُمْ)؛ إشارة إلى غياب عقولهم؛ بتمكن الكفر منهم، وسيطرته عليهم؛ حيث طبع على بصيرتهم في التمييز بين الحق والباطل، وجعلهم يجتمعون على الضلال، وكرر ضمير المسند إليه في الآيتين؛ تقريرًا لبُعدهم عن الصواب وانغماسهم في ضروب الكفر والتيه.

---

(١) تفسير سورة البروج دراسة تحليلية ص٥٠٨.

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٣١/ ١١١).

(٣) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لأبي محمد، عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن هشام الأنصاري، تحقيق: محمد محيى الدين بن عبد الحميد، (١٠٢/١)، دار الطلائع – القاهرة.

كما أنه جاء بـ(على) هنا في قوله: (عَلَيْهَا) " للاستعلاء المجازي؛ لأنهم لا يقعدون فوق النار، ولكن حولها. وإنما عبر عن القرب والمراقبة بالاستعلاء" [١] ؛ للدلالة على استعلائهم على المؤمنين بتمكنهم من تعذيبهم بالتحريق تشفيًا، حال الجلوس حول النار ومتابعة تعذيبهم.

وقال هنا (قعود) ولم يقل (جلوس)؛ لأن "القعود انتقال من علو إلى سفل" [٢] مما يتناسب مع معنى تدنيهم ودناءة نفوسهم الشريرة؛ لأن ما يفعلونه من الجلوس حول النار ومتابعة عملية التحريق أمر تأباه الطباع السليمة، وتنفر منه.

وجاء بقوله: { قُعُودٌ } جمعًا على وزن مصدره" للدلالة على المعنى الحقيقي للفعل" [٣] (قعد) الذي يحمل معنى قوة الثبات والرسوخ [٤] في القعود لمتابعة أطوار تعذيب المؤمنين، فضلًا عن كونه – قعود – على وزن فعول الذي يستعمل مع من " كان قويًا على الفعل" [٥] و"كثر منه" [٦] مما يقرر قسوة قلوبهم التي رغبت في التشفي بتعذيب المؤمنين بالقعود بالقرب من الأخاديد لمشاهدة هذا العذاب الذي

---

(١) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت : ١٣٩٣هـ) (٢٤٢/٣٠)، الدار التونسية للنشر – تونس، ط: (١٩٨٤ هـ).

(٢) الكليات ص٧٢٨.

(٣) معاني الأبنية في العربية، د/ فاضل صالح السامرائي، ص١٣٩، ١٤٠ ، دار عمار، ط : الثانية (١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م).

(٤) ينظر: المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، د/ محمد حسن حسن جبل، ص١٨١٥، مكتبة الآداب، ط: الأولى (٢٠١٠م).

(٥) الفروق اللغوية ص ٢٤.

(٦) الكليات ص ١٠٠٣.

قويت قلوبهم على تحمله مرارًا وتكرارًا؛ بتجردها من كل معاني الإنسانية، فلم يكتفوا بمجرد التعذيب، وإنما تعدوا ذلك للقعود مخافة تهاون من يقومون بإلقاء الوقود في الأخاديد؛ حرصًا على استمرار العذاب، ومتابعته؛ تشفيًا بالمؤمنين.

و"المناسبة ظاهرة بين قوله: { وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُود} ، وقوله: { إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ }، أي: حضور[1]، فقد جاء بجملة " { وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُود} في موضع الحال من ضمير { إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ } كأنه قيل: قعود شاهدين على فعلهم بالمؤمنين ... وفائدة هذه الحال تفظيع ذلك القعود وتعظيم جرمه؛ إذ كانوا يشاهدون تعذيب المؤمنين، ولا يرأفون في ذلك، ولا يشمئزون، وبذلك فارق مضمون هذه الجملة مضمون جملة: { إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ }."[2]، وتظهر بلاغة الجملة الحالية فيما تضمنته من "زيادة في الفائدة والخبر" [3]، كما ظهر بالتفصيل في كلام الطاهر بن عاشور.

وجاء بـ (ما الموصولة) التي تحمل معنى "التفخيم"[4] في قوله: { وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُود} لتفخيم وتهويل صنيعهم من تعذيب المؤمنين، ومما يؤكد ذلك مجيئه بصلة الموصول قوله: { يَفْعَلُونَ } من مادة (ف ع ل) التي

(١) التحرير والتنوير (٣٠/ ٢٣٩).

(٢) التحرير والتنوير (٣٠/ ٢٤٣).

(٣) معاني النحو، د/ فاضل صالح السامرائي، (٢/٢٧٨)، دار الفكر . عمان، ط: الأولى، (١٤٢٠هـ . ٢٠٠٠م).

(٤) مختصر العلامة سعد الدين التفتازاني ، (١/٣٠٦) ، دار إحياء الكتب العربية ، مطبعة عيسى البابي الحلبي.

"تستعمل في الأحداث العنيفة...وفي إنزال العذاب"[١] مما يتعاضد مع سوء صنيعهم بالمؤمنين من إنزال عذاب الحريق أشد أنواع العذاب في الدنيا والآخرة؛ تنكيلًا بهم، وجاء بجملة الصلة مضارعة ليؤكد استمرار وتجدد [٢] تعذيبهم للمؤمنين_انتقامًا منهم.

وختم الآيتين بصيغ الجمع (قُعُودٌ، شُهُود) للدلالة على اجتماعهم على المعصية، فضلًا عن أنه ترقى بين الأفعال في خاتمة الآيتين هنا، فبدأ بالقعود، وثنى بالمشاهدة سيرًا على الترتيب التصاعدي للأفعال الدالة على التشفي بالعذاب.

وختم رغبتهم في تعمد تحريق المؤمنين والتشفي بهم بفاصلة حرف (الدال) المتضمن معنى الصلابة والقساوة، فهو أصلح الحروف للتعبير عن معاني الشدة والفعالية الماديتين [٣]؛ مما يؤكد قوة رغبتهم في معاينة ومتابعة عذاب المؤمنين الممتزجة بالسعادة الغامرة؛ مما يؤكد انتزاع الرحمة من قلوبهم.

وقد اتحدت خاتمة الآيتين (قُعُودٌ، شُهُود) في النوع والوزن والفاصلة تناسبًا مع اتحادهما في الحدث الكاشف عن تعمد تعذيب المؤمنين والتشفي بهم.

فتعمد التحريق ظهر جليًا في قوله: (قُعُودٌ)، وتعمد التشفي ظهر جليًا في قوله: (شُهُود)؛ وبذلك تظهر دقة ألفاظ القرآن الكريم في الكشف عن أحداث القصة.

ثالثا: سر تعذيب المؤمنين بالإحراق:

يتمثل في قوله تعالى: { وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٩ } [البروج ٨ : ٩].

---

(١) المعجم الاشتقاقي ص١٦٩٢.

(٢) ينظر : دلائل الإعجاز ص١٧٤.

(٣) ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها – دراسة – ص٦٧.

تصور الآيتان السابقتان وجهة نظر الكفرة أصحاب الأخدود لما أنزلوا بالمؤمنين من عذاب؛ حيث إنهم عذبوهم على الإيمان بالله.

وقد عبر عن سر تعذيبهم بأسلوب المدح بما يشبه الذم [١] في قوله تعالى: { وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ } حيث استثنى من صفة ذم منفية عن الشيء صفة مدح باعتبار دخولها في صفة الذم [٢]، وتبرز بلاغة تأكيد المدح بما يشبه الذم – هنا – في تأكيد المدح والمبالغة فيه [٣] تثبيتًا للمؤمنين على الحق واستهزاءً بهؤلاء الكفرة الذين طبع الله على قلوبهم، فصاروا يُنزلون العذاب بمن يستحق المدح، والمكافأة على اتباعه الحق وعزوفه عن الباطل؛ فكل ما فعله المؤمنون أنهم مؤمنون بالله موحدون به دون غيره، فهل هذا يجعلهم يستحقون عذاب الحريق بالنار أشد ألوان العذاب؟!

وقال هنا: (وما نقموا منهم)، ولم يقل: (وما أنكروا منهم)؛ لأن قولك: "أنكر منه كذا يفيد أنه لم يجوز فعله...وقوله: نقم منه يفيد أنه أنكر عليه إنكار من يريد عقابه" [٤]، فهذه الصيغة (وما نقموا منهم) تؤكد الرغبة المتأصلة لدى الكفار في عقاب المؤمنين حال مخالفتهم لهم، وإن كانوا على صواب لا يستحقون عليه عقابًا كما فعلوا بهم هنا، فهي أنسب للمقام من الإنكار.

وتأكيد المدح بما يشبه الذم جاء في صورة أسلوب "القصر" [٥] بطريق

(١) تفسير سورة البروج دراسة تحليلية ص٥٢٠.

(٢) ينظر: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (٤/ ٣٨٦).

(٣) ينظر: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (٤/ ٣٨٨).

(٤) الفروق اللغوية ص ٤٧.

(٥) تفسير سورة البروج دراسة تحليلية ص٥٢١.

النفي والاستثناء الذي تظهر بلاغته في التأكيد على فضل المؤمنين المعذبين على الكافرين بـ"الاختصاص" [١] بصفة الإيمان- طوق النجاة في الدارين- التي أغفلها أصحاب الأخدود، وجعلوها سببًا للتعذيب بالتحريق.

"وعبر بالفعل المضارع (يؤمنوا)، ولم يقل (آمنوا) بلفظ الماضي؛ ليفيد أنهم لم يعذبوا على الإيمان في الماضي، وإنما عذبوا على ثبات إيمانهم وصبرهم، فالتعذيب كان واقعًا على الإيمان في المستقبل، ولو كفروا في المستقبل لم يعذبوهم على ما مضى من الإيمان." [٢]

وأخالف هذا الرأي بأن السر في التعبير بالمضارع بدلًا من الماضي؛ هو الدلالة على استمرار وتجدد[٣] إيمانهم بالله ماضيًا وحاضرًا ومستقبلًا إلى أن يلقوا الله رغم معاينتهم العذاب، مما يقرر مدحهم الذي يتلاقى مع تأكيد المدح بما يشبه الذم بطريق القصر في الآية؛ فيكون الأسلوب كله حلقةً مفرغةً من المدح المتعانق بالثبات على العقيدة السليمة.

وختم الآية بقوله: { ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ }؛ ليشير بقوله: { ٱلۡعَزِيزِ }؛ إلى امتلاكه سبحانه القدرة التامة، فهو القادر القاهر الذي لا يغلب؛ ولذلك عقب هذا الوصف بوصف { ٱلۡحَمِيدِ }؛ أي: إنه لاتصافه سبحانه بهذه الأوصاف فهو الوحيد المستحق للحمد من عباده دون منازع [٤] وفي إتباع وصف العزيز بالحميد تتميم[٥] يقرر

(١) دلائل الإعجاز ص٣٤٦.

(٢) تفسير سورة البروج دراسة تحليلية ص٥٢١.

(٣) ينظر: دلائل الإعجاز ص١٧٤.

(٤) ينظر: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٣١/ ١١٢).

(٥) الإيضاح (٢١٢/٣ ، ٢١٣).

صواب عقيدة المؤمنين، ومن جهة أخرى تبرز بلاغته في المبالغة[١] في تخطئة أصحاب الأخدود، فقد "ثبت أن من كان موصوفًا بهذه الصفات كان هو المستحق للإيمان به، وغيره لا يستحق ذلك البتة، فكيف حكم أولئك الكفار الجهال بكون مثل هذا الإيمان ذنبا؟!" [٢]

واستمرارًا في تخطئة هؤلاء الكفرة وتأييدًا للمؤمنين على طريق الحق يمتد التتميم بقوله تعالى: {ٱلَّذِى لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ } وجاء التتميم بالأسماء المفردة والجملة الاسمية تأكيدًا لثبات هذه الصفات للمولى – عز وجل – وعدم وجود مجال للنقاش فيها.

وبذلك تكشف الآيتان السابقتان عن وجهة نظر أصحاب الأخدود في سر تعذيبهم للمؤمنين الذي ليس له أساس من الصحة.

وبذلك كشفت قصة أصحاب الأخدود – في القرآن الكريم – النقاب عن العلة الواهية لإيقاع عذاب التحريق بالمؤمنين؛ وهي إيمانهم بالله الذي يستحقون عليه المثوبة لا العقاب؛ مما يؤكد غياب عقول هؤلاء الكفار حال الحكم على الأمور واتخاذ القرارات المصيرية فيما يتعلق بالعقيدة.

رابعًا: جزاء الكفار:

يتمثل في قوله تعالى: { إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ } [البروج ﴿١٠﴾].

عبر هنا عن جزاء الكافرين بالخبر الإنكاري [٣] الذي تعددت فيها المؤكدات

(١) ينظر: السابق (٣/٢١٣).

(٢) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٣١/ ١١٢).

(٣) ينظر: الإيضاح (٢/ ١٩٥).

تناسبًا مع حال أصحاب الأخدود في إنكار تعذيبهم على إيذاء المؤمنين، فبنى الجملة على التأكيد فجاء بـ(إن)، والجملة الاسمية؛ لتقرير الحكم الذي تضمنته الجملة في الأذهان، فكان التأكيد على قدر الإنكار.

و"لاستهجان التصريح بالاسم" [1] جاء بالمسند إليه قوله: (ٱلَّذِينَ) العائد على أصحاب الأخدود اسمًا موصولًا، بالإضافة إلى صلاحية الاسم الموصول للرمز على وجه العموم إلى كل من يتعرض للمؤمنين بأذى في أي مكان أو زمان.

وعبر عن عذاب المؤمنين بالفتنة في قوله: (فَتَنُواْ)؛ لكون الفتنة تمثل "أشد الاختبار وأبلغه"[2] فضلًا عن تمثل فتنتهم للمؤمنين هنا في الإحراق أشد أنواع العذاب في الدارين وأبلغه.

وعبر عن فتنتهم للمؤمنين بصيغة الماضي؛ ليقرر أنه مع تحقق وقوع [3] فتنتهم للمؤمنين فقد فتح لهم المولى – عز وجل – باب رحمته وتركه مفتوحًا على التراخي؛ بتصدير جملة : (ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ) بـ(ثم) الدال على التراخي[4] من باب الإنذار السابق للعقاب؛ رحمةً بهم وترغيبًا لهم في التوبة.

ولم يكتف بذكر (ٱلۡمُؤۡمِنِينَ) فقط وعطف عليهم (ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ)؛ ليدل بذكر (ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ) على انتزاع الرحمة من قلوبهم التي جعلتهم لا يفرقون في التعذيب بأشد

(١) الإيضاح (٢/ ١٤).

(٢) الفروق اللغوية ص ٢١٧.

(٣) ينظر: المطول في شرح تلخيص المفتاح، لسعد الدين التفتازاني الهروي، ص١٥٤، المكتبة الأزهرية، ط: (١٣٣٠هـ).

(٤) ينظر: مغني اللبيب (١٣٧/١) ، دلالات التراكيب (دراسة بلاغية)، د/ محمد محمد أبو موسى، ص٣٣٩، مكتبة وهبة، ط: الرابعة (١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م).

أنواع العذاب بين الرجال والنساء، مع ما هو معروف عن النساء من ضعف قد لا يقوين معه على تحمل عذاب الإحراق، ولكن أنى هم من ذلك؟، وأنى أن تتحرك قلوبهم نحو مؤمن أو مؤمنة مهما كان حاله طالما خالفهم في العقيدة.

وعلق نزول العذاب بأصحاب الأخدود على انتفاء توبتهم، وخص التوبة بالذكر في قوله: (ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ) ؛ لما تتضمنه من الإقرار بالذنب والاعتراف بعدم العذر فيه(١)؛ مما يؤكد الندم الذي يجعل المولى – عز وجل – يشملهم برحمته مع فظاعة ما وقع منهم في حق المؤمنين.

وقدم هنا " الأسباب والوسائل على المسببات والغايات " (٢) حين قدم قوله: { إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ } على قوله: { فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ }؛ ولذلك قرن خبر (إن) بالفاء خاصة؛ لأن الفاء تُخرج العلة مخرج الأمر الذي لا ينكره المخاطب، ولا يتردد فيه (٣) ؛ لتوفر أسبابه؛ حيث إنهم استحقوا هذا العذاب بما اقترفوا في حق المؤمنين.

وعدد ألوان العذاب لأصحاب الأخدود في قوله: { فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ } فلم يقتصر على ذكر عذاب جهنم فقط، وأتبعه بذكر عذاب الحريق؛ لمزيد من التأكيد على حصول العذاب؛ ترهيبًا لهم؛ للحث على التوبة والرجوع عن المعصية، بالإضافة إلى إثلاج صدور المؤمنين؛ لهول ما أنزلوه بهم من عذاب التحريق الذي اختص به المولى –عز وجل – وحده في الآخرة.

---

(١) ينظر: الفروق اللغوية ص٢٣٤.

(٢) من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم "الفاء ، ثم" ص٣٣.

(٣) ينظر: السابق ص١١٤.

وعبر عن عذاب الكفار هنا بالجملة الاسمية؛ ليؤكد ثبوت[1] هذا العذاب لهم جزاءً على ما اقترفوه في حق المؤمنين.

خامسًا: جزاء المؤمنين:

يتمثل في قوله تعالى: {إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡكَبِيرُ} [البروج ١١].

حيث تأتي أعظم مكافأة من أعظم مكافئ، وهي الجنة ورضا المولى – عز وجل – الغاية المنشودة التي لا غاية بعدها، للمؤمنين الصابرين الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح.

وقال هنا : { لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ } ولم يقل: { لَهُمۡ جَنَّـٰتٞ }؛ لمزيد من الفائدة بالتقييد الكاشف عن رغبة المولى –عز وجل – في تنعيم المؤمنين وإثلاج صدورهم بما أعد لهم من نعيم دائم في الآخرة؛ جزاءً لهم على الثبات على الحق في سبيل الله، وفي سبيل رفع كلمة دينه.

و" قال: ذلك الفوز ولم يقل: تلك؛ لدقيقة لطيفة، وهي أن قوله: ذلك إشارة إلى إخبار الله – تعالى– بحصول هذه الجنات، وقوله: تلك إشارة إلى الجنات وإخبار الله – تعالى – عن ذلك يدل على كونه راضيًا، والفوز الكبير هو رضا الله لا حصول الجنة." [2]

وعبر عن رضا الله بـ(الفوز) خاصة؛ لما في الفوز من دلالة على " الخلاص من المكروه مع الوصول إلى المحبوب، ولهذا سمى الله – تعالى –

(١) ينظر: دلائل الإعجاز ص١٧٤.

(٢) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٣١/ ١١٣).

المؤمنين فائزين لنجاتهم من النار ونيلهم الجنة" [1] فجاء الفوز مناسبًا لمقام خلاص المؤمنين من عذاب الحريق في الدنيا، ووصولهم به لجنة النعيم هدفهم المنشود، وامتد الوصف بوصف آخر وهو (الكبير)؛ لبيان أن رضا الله أكبر فوز، وليس هناك فوز أكبر منه في الدارين.

وقدم جزاء الكافرين على المؤمنين في أحداث القصة، تنكيلًا بهم، وانتقامًا للمؤمنين المعذبين، وإدخالًا للسرور على قلوبهم بما أعد الله لأصحاب الأخدود من عذاب الحريق المضاعف في الآخرة.

وعرض المولى – عز وجل – جزاء الفريقين – الكافرين والمؤمنين – في صورة المقابلة المعنوية في قوله: { إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ۝١٠ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ۝١١} والتي تظهر بلاغتها في بيان الفرق الشاسع بين جزاء الفريقين، الذي يكمن فيه الترهيب والترغيب في آنٍ واحد، فضلًا عن تداعي المعاني التي اقتضاها المقام، واكتست قوة بالمقابلة، فثبتت المعنى في النفوس؛ لأن الضد أقرب خطورًا بالبال إذا ذكر ضده.[2]

و"أكد الخبر في الموضعين – جزاء الكافرين والمؤمنين – بـ(إن) للاهتمام به" [3]؛ نظرًا لأهميته العظمى بين أحداث القصة في تثبيت المؤمنين، والكشف عن عدالة المولى – عز وجل – في قضاء حقوق عباده.

---

(١) الفروق اللغوية ص ٢١٠.

(٢) ينظر: أسس النقد الأدبي عند العرب، د/ أحمد أحمد بدوي، ص٤٤٧، نهضة مصر للطباعة والنشر ، ط: (١٩٩٦م).

(٣) تفسير سورة البروج دراسة تحليلية ص٥٤٠.

وبذلك يظهر الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم في عرض أحداث القصة المثبتة لمقاصدها في الأذهان.

ثانيًا: أحداث القصة في السنة النبوية:

تتمثل في قوله – صلى الله عليه وسلم – فيما ورد في رواية صحيح مسلم:

" فَكَانَ فِي طَرِيقِهِ، إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ فَقَعَدَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلَامَهُ، فَأَعْجَبَهُ فَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرَّ بِالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إِلَيْهِ، فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ، فَقَالَ: إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ، فَقُلْ: حَبَسَنِي أَهْلِي، وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ، فَقُلْ: حَبَسَنِي السَّاحِرُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتِ النَّاسَ، فَقَالَ: الْيَوْمَ أَعْلَمُ آلسَّاحِرُ أَفْضَلُ أَمِ الرَّاهِبُ أَفْضَلُ؟ فَأَخَذَ حَجَرًا، فَقَالَ: اللهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ، حَتَّى يَمْضِيَ النَّاسُ، فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا، وَمَضَى النَّاسُ، فَأَتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: أَيْ بُنَيَّ، أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي، قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى، وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى، فَإِنِ ابْتُلِيتَ فَلَا تَدُلَّ عَلَيَّ، وَكَانَ الْغُلَامُ يُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ، وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الْأَدْوَاءِ، فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ، فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ، فَقَالَ: مَا هَاهُنَا لَكَ أَجْمَعُ، إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي، فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ، فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِاللهِ دَعَوْتُ اللهَ فَشَفَاكَ، فَآمَنَ بِاللهِ فَشَفَاهُ اللهُ، فَأَتَى الْمَلِكَ، فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ؟ قَالَ: رَبِّي، قَالَ: وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي؟ قَالَ: رَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الْغُلَامِ، فَجِيءَ بِالْغُلَامِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: أَيْ بُنَيَّ قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ، وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ، فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا، إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ، فَجِيءَ بِالرَّاهِبِ، فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ

دِينِكَ، فَأَبَى، فَدَعَا بِالْمِنْشَارِ، فَوَضَعَ الْمِنْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيسِ الْمَلِكِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى فَوَضَعَ الْمِنْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلَامِ، فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلِ كَذَا وَكَذَا، فَاصْعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ، وَإِلَّا فَاطْرَحُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ، فَصَعِدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَقَالَ: اللهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَرَجَفَ بِهِمِ الْجَبَلُ فَسَقَطُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللهُ، فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ فَاحْمِلُوهُ فِي قُرْقُورٍ، فَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَاقْذِفُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ، فَقَالَ: اللهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَانْكَفَأَتْ بِهِمِ السَّفِينَةُ فَغَرِقُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللهُ، فَقَالَ لِلْمَلِكِ: إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ، قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَتَصْلُبُنِي عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي، ثُمَّ ضَعِ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قُلْ: بِاسْمِ اللهِ رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ ارْمِنِي، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي، فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَصَلَبَهُ عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قَالَ: بِاسْمِ اللهِ، رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ، فَمَاتَ، فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، فَأُتِيَ الْمَلِكُ، فَقِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ؟ قَدْ – وَاللهِ – نَزَلَ بِكَ حَذَرُكَ، قَدْ آمَنَ النَّاسُ، فَأَمَرَ بِالْأُخْدُودِ فِي أَفْوَاهِ السِّكَكِ، فَخُدَّتْ وَأَضْرَمَ النِّيرَانَ، وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ، فَأَحْمُوهُ فِيهَا، أَوْ قِيلَ لَهُ:

اقْتَحِمْ، فَفَعَلُوا."[1]

وهذه الأحداث تجسد ما يلي:

١- توطئة القصة وتشتمل على:

أ-حيرة الغلام بين الساحر والراهب. ب – الحادث الذي قضى على حيرة الغلام.

٢- ذيوع أمر الغلام، ووصول خبره إلى الملك.

٣- تعذيب وترهيب وقتل المؤمنين.

٤- محاولات قتل الغلام الفاشلة.

٥- تضحية الغلام بنفسه في سبيل رفع راية الدين الحق.

٦- تعمد الكفار تحريق المؤمنين والتشفي بتعذيبهم.

أولاً: توطئة القصة

وتشتمل على:

أ- حيرة الغلام بين الساحر والراهب.

ب- الحادث الذي قضى على حيرة الغلام.

أ- حيرة الغلام بين الساحر والراهب:

تتمثل في قوله – صلى الله عليه وسلم – "فَكَانَ فِي طَرِيقِهِ، إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ فَقَعَدَ إِلَيْهِ، وَسَمِعَ كَلَامَهُ، فَأَعْجَبَهُ فَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرَّ بِالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إِلَيْهِ، فَإِذَا

(١) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لمسلم [بَابُ قِصَّةِ أَصْحَابِ الْأُخْدُودِ وَالسَّاحِرِ وَالرَّاهِبِ وَالْغُلَامِ، حديث رقم (٣٠٠٥) (٤/ ٢٢٩٩)].

أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ، فَقَالَ: إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ، فَقُلْ: حَبَسَنِي أَهْلِي، وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ فَقُلْ: حَبَسَنِي السَّاحِرِ."[١]

تبدأ أحداث القصة ببيان الخير الذي أراده الله بالغلام حين ألقى في طريقه المعتاد للساحر، الراهب العابد الذي لا يتكلم إلا خيرًا، فصار الغلام إذا خرج للذهاب للساحر جلس عند الراهب فتأخر على الساحر، فجعل الساحر يضربه، فشكا الغلام إلي الراهب هذا، فقال له: إذا ذهبت إلي الساحر وخشيت أن يعاقبك فقل عن أهلك: أخروني، وإذا ذهبت إلي أهلك وخشيت أن يعاقبوك فقل عن الساحر: أخرني؛ حتى تنجو من هذا ومن هذا، ففعل، فصار الغلام يأتي إلي الراهب، ويسمع منه دون تعرُضٍ للعقاب. [٢]

بنى المصطفى – صلى الله عليه وسلم – حدث حيرة الغلام على الجمل الشرطية المترابطة بـ(إذا) خاصة، التي تدل علي الجزم بوقوع شرطها [٣] لجزمه بوقوع القصة بجميع أحداثها في الأمم السابقة؛ بدليل إخبار القرآن الكريم عن القصة نفسها في سورة البروج.

وبني جمل الشرط جميعًا على المضي تناسبًا مع دلالة (إذا) اليقينية.

والجمل التي بنى منها حدث حيرة الغلام كلها منسلخة من بعضها البعض، ومترتبة على بعضها البعض، فالجزاء في كل جملة متولد من رحم الشرط،

---

(١) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لمسلم [بَابُ قِصَّةِ أَصْحَابِ الْأُخْدُودِ وَالسَّاحِرِ وَالرَّاهِبِ وَالْغُلَامِ، حديث رقم (٣٠٠٥) (٤/ ٢٢٩٩)].

(٢) ينظر: شرح رياض الصالحين، لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت: ١٤٢١هـ)، (١/ ٢١٤ ، ٢١٥)، دار الوطن للنشر، الرياض، ط: (١٤٢٦هـ).

(٣) ينظر : المطول ص١٥٤.

أو مترتب عليه؛ لذلك تجد جميع جمل الحدث مصدرة بـ(فاء) السببية التي تفيد الترتيب والتعقيب. [١]

ونكر (رَاهِبٌ) في قوله: (فَكَانَ فِي طَرِيقِهِ، إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ) للإفراد [٢]، أي: كان في طريقه للساحر فرد من أفراد الرهبان أو راهب لا راهبان أو أكثر، كما أنه لا يتعلق بتعريفه غرض، فلا فرق بين راهب وآخر في هذه القصة، فالمهم أنه يوجد راهب ما يتردد عليه الغلام؛ ليتعلم منه السحر.

وتبدأ الحيرة لدى الغلام حال مروره بالراهب في طريقه للساحر في قوله – صلى الله عليه وسلم – : (فَكَانَ فِي طَرِيقِهِ، إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ فَقَعَدَ إِلَيْهِ، وَسَمِعَ كَلَامَهُ، فَأَعْجَبَهُ) فجمع الغلام هنا حال رؤيته للراهب بين فعلين هما: القعود لديه، وسماع كلامه بإدراكه [٣] وتدبره؛ مما أثار إعجابه، وجعله يقع في حيرة من أمره بين هذا الراهب والساحر، أيهما على حق؟!

وقرن جملة الجزاء وما ترتب عليها هنا (فَقَعَدَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلَامَهُ، فَأَعْجَبَهُ) بالفاء الدال على الترتيب، والتعقيب الناطق بتطلع الغلام للوقوف على حقيقة الأمر من حيث صحة وفساد العقيدة بين الراهب والساحر بالمقارنة بين كلامهما ومحاولة استيعابه.

وترتب على هذا الإعجاب بكلام الراهب من قبل الغلام استمراره في زيارة الراهب كلما أتى الساحر في قوله – صلى الله عليه وسلم –: (فَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرَّ بِالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إِلَيْهِ)؛ مما أوقعه في دائرة العقاب المتكرر من الساحر

(١) ينظر: مغني اللبيب (١/١٨٠).
(٢) ينظر الإيضاح (٢/ ٣٥).
(٣) ينظر: الفروق اللغوية ص ٨٩.

في قوله – صلى الله عليه وسلم –: (فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ) بسبب تأخره.

وكثرة ما ألم بالغلام من عقاب جعل لسانه ينطلق بالشكوى للراهب، وكأنه يريد منه حلًا لمشكلته المسببة عن تتابع زيارته له في قوله – صلى الله عليه وسلم –: (فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ).

وعقِب شكوى الغلام أتي نصح الراهب المخلص له من دائرة العقاب على وجه العموم سواء أكان من الساحر أم من أهل الغلام، وتظهر حكمة الراهب في هذا النصح، التي تصور مدى حرصه على سلامة الغلام واستمرار تواصله معه بقوله: (فَقَالَ: إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ، فَقُلْ: حَبَسَنِي أَهْلِي، وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ، فَقُلْ: حَبَسَنِي السَّاحِرِ)، ولجزمه بخشية الغلام للساحر وأهله بنى نصحه على الشرط المجزوم بوقوعه بدلالة (إذا) وأفعال الشرط اليقينية، وجاء بالشرط في نصحه من (الخشية) خاصة لما تحمله من دلالة على انقباض القلب لتوقع مكروه في المستقبل بسبب كثرة الجناية من العبد [1]، وجاء بالجزاء من صيغ الأمر تناسبًا مع معنى النصح والإرشاد المنوط منها في الوصول إلى حل مخلص للغلام من العقاب، وجاء بجواب الشرط في نصحه من القول خاصة؛ ليصل قوله لهم – الساحر وأهل الغلام – مسموعًا مجهورًا به فيكون أشد تأثيرًا فيهم لرفع العقاب عنه.

وعرف (الساحر، الراهب) في الجمل المتقدمة باللام، وهي لام العهد الخارجي الصريح؛ حيث إنها لام تقدم ذكرها صراحةً [2] فيما تقدم من مطلع القصة

(١) ينظر: التعريفات، لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، ص٩٨، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط: الأولى (١٤٠٣هـ –١٩٨٣م).

(٢) ينظر: المطول ص٧٩.

في الحديث النبوي.

وبذلك يكون الغلام قد سلك طريق الترقي في الأفعال في علاقته بالراهب على النحو التالي: (فَقَعَدَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلَامَهُ، فَأَعْجَبَهُ، فَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرَّ بِالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إِلَيْهِ، فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ) ؛ حيث إنه ترقى من القعود إليه وسماع كلامه إلى الإعجاب به، إلى استمرار القعود إليه حال المرور به، إلى شكوى ضرب الساحر له، وطلب النصح منه؛ مما يؤكد ترقي العلاقة بين الغلام والراهب وصولًا إلى الثقة غير المتناهية بطلب نصح القاضي على حيرته في أمره.

ب ـ الحادث الذي قضى على حيرة الغلام:

يتمثل في قوله – صلى الله عليه وسلم –: "فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتِ النَّاسَ، فَقَالَ: الْيَوْمَ أَعْلَمُ آلسَّاحِرُ أَفْضَلُ أَمِ الرَّاهِبُ أَفْضَلُ؟ فَأَخَذَ حَجَرًا، فَقَالَ: اللهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ، حَتَّى يَمْضِيَ النَّاسُ، فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا، وَمَضَى النَّاسُ، فَأَتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: أَيْ بُنَيَّ، أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي، قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى، وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى، فَإِنِ ابْتُلِيتَ فَلَا تَدُلَّ عَلَيَّ."[1]

فبينما الغلام على هذا الحال من استمرار زيارة الراهب والاستماع إليه، يمر ذات يوم بدابة عظيمة حبست الناس عن المرور، فيقول الغلام في نفسه: اليوم أعرف هل الساحر أفضل أم الراهب، فأخذ حجرًا، ودعا المولى – عز وجل – : إن

(١) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لمسلم [بَابُ قِصَّةِ أَصْحَابِ الْأُخْدُودِ وَالسَّاحِرِ وَالرَّاهِبِ وَالْغُلَامِ، حديث رقم (٣٠٠٥) (٤/ ٢٢٩٩)].

كان أمر الراهب خيرًا له؛ أن يقتل هذا الحجر الدابة، فرمى بالحجر، فقتل الدابة، فمشي الناس، فعرف الغلام أن أمر الراهب خير من أمر الساحر، وأخبر الغلام الراهب بما جري، فقال له الراهب: أنت اليوم خير مني؛ وذلك لأن الغلام دعا الله فاستجاب له. وقد أخبر الراهب هذا الغلام بأنه سيبتلي بمحنة، وطلب منه أن لا يخبر به إن هو ابتلي بشيء. (١)

وبذلك يكون المولى – عز وجل – أراد أن يتم فضله على الغلام بهدايته إلى الطريق القويم في العقيدة، بعدما تأرجح بين الساحر والراهب فترة دون استقرار.

فيأتي طوق النجاة المخلص للغلام من حيرته والمتمثل في الدابة العظيمة التي حبست الناس عن المرور، فيرى فيها الغلام حلًا لحيرته، فيقول: (الْيَوْمَ أَعْلَمُ آلسَّاحِرُ أَفْضَلُ أَمِ الرَّاهِبُ أَفْضَلُ؟) بالاستفهام الذي يحمل معنى الحيرة والتخبط.

وقال: (اليوم أعلم)، لأنه أراد إدراك حقيقة الأمر (٢) – الذي جعله في حيرة بين الراهب والساحر – يقينًا، فضلًا عن أنه قال: (اليوم أعلم)، ولم يقل (اليوم أعرف)؛ لأن العلم أعم من المعرفة؛ حيث إن المعرفة تختص بتفاصيل الشيء فقط، بينما العلم يحيط بكل ما يخص الشيء جملة وتفصيلًا(٣) مما يؤكد رغبة الغلام في الإحاطة بكل ما يخص هذا الأمر، لا تفاصيله فحسب.

ثم يشرع الغلام في تنفيذ الخطة التي يرى فيها خلاصًا من حيرته في قوله: (فَأَخَذَ حَجَرًا، فَقَالَ: اللهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هَذِهِ

(١) ينظر: شرح رياض الصالحين (١/ ٢١٥ ، ٢١٦).

(٢) ينظر: المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت:٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ص٥٨٠، دار القلم . الدار الشامية، دمشق . بيروت، ط: الأولى (١٤١٢هـ).

(٣) ينظر: الفروق اللغوية ص٨٠.

الدَّابَّةَ، حَتَّى يَمْضِيَ النَّاسُ، فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا، وَمَضَى النَّاسُ) فقرن فعل أخذ الحجر الذي يحمل معنى الحوز بقوة [١] إصرارًا منه على الوصول للحقيقة، بالتوجه بالدعاء للمولى – عز وجل – بجعل هذا الحجر سببًا في قتل الدابة إن كان أمر الراهب خيرًا عنده من أمر الساحر في قوله: (اللهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّة) فبنى الدعاء على الشرط الذي يحمل معنى الحيرة بدلالة (إن) الشرطية الدالة على الشك [٢]؛ إشارة إلى حيرته وتخبطه حيال هذا الأمر، فهو يجالس الراهب والساحر دون وقوف على مدى أحقية أحدهما بالإتباع.

ويعلل الغلام دعاءه وحسن نيته في طلب قتل الدابة بعلة أخرى هي (حَتَّى يَمْضِيَ النَّاسُ)؛ التي صدرها بـ(حتى) التعليلية [٣] الكاشفة عن رغبته في دفع الأذى عن الناس بقتل الدابة؛ لأن طبيعة الصالحين لا تجنح إلى القتل إلا لمصلحة، وقد كشفت جملة التعليل عن هذه المصلحة.

وبالفعل يستجيب المولى – عز وجل – لرغبة الغلام في الكشف عن صلاح الراهب بقتل الدابة، ومرور الناس دون عائق؛ حيث يرمي الدابة بالحجر، فتقع على الفور جثة هامدة لاحول لها ولا قوة بدلالة فاء التعقيب في (فَقَتَلَهَا) في قوله: (فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا، وَمَضَى النَّاسُ)، ووصل الأفعال التي وقعت بعد رميه للدابة بالحجر قوله: (فَقَتَلَهَا، وَمَضَى النَّاسُ) لما بينهما من التوسط بين الكمالين؛ حيث اتفقت الجملتان في الخبرية لفظًا ومعنى مع وجود جامع بينها[٤] وهو زوال أذى الدابة.

---

(١) المعجم الاشتقاقي ص ٥٣٦.

(٢) ينظر: المطول ص١٥٤.

(٣) ينظر: مغني اللبيب (١/ ١٤٣).

(٤) ينظر: التلخيص في علوم البلاغة ، ص١٩٠.

ودون تردد يهرول الغلام إلى الراهب العابد ويقص عليه ما حدث، ومما يؤكد ذلك الإسراع وتلك الهرولة تصديره الجملة الواصفة لحاله إثر ما حدث بـ(فاء) المسارعة الدالة على عدم تركه مهلة وتوجه على الفور للراهب في قوله: (فَأَتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ).

وعلى الفور أيضًا يأتي تعقيب الراهب على ما حدث بقوله: (فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: أَيْ بُنَيَّ، أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي، قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى، وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى، فَإِنِ ابْتُلِيتَ فَلَا تَدُلَّ عَلَيَّ).

فناداه نداء القريب [1] المدلل بقوله: (أَيْ بُنَيَّ) بصيغة التصغير الدالة على فرط المحبة [2] والتدليل؛ للكشف عن سعادته الغامرة بما آل إليه حال الغلام من استجابة الدعاء والقرب من الذات العلية.

ورغبة من الراهب في رفع معنويات الغلام أعلمه بأنه إذا كان علم اليوم أن أمر الراهب أفضل من أمر الساحر، فقد علم الراهب أيضًا أن هناك من هو أفضل منه وهو الغلام، وعلل له تلك الأفضلية بقوله: (أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي، قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى) ويقصد استجابة دعائه.

وتأكيدًا على أفضلية الغلام أخبره بأنه سيكون من أهل الابتلاء؛ إذ أفضل خلق الله أكثرهم ابتلاء؛ بدليل ما جاء في سنن ابن ماجة: عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: "الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ، يُبْتَلَى الْعَبْدُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صُلْبًا

(١) ينظر: المطول ص٢٤٤.

(٢) ينظر: الموجز في قواعد اللغة العربية، لسعيد بن محمد بن أحمد الأفغاني (ت: ١٤١٧هـ)، ص١٥٦، دار الفكر – بيروت – لبنان، ط: (١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م).

اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرَحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ، وَمَا عَلَيْهِ مِنْ خَطِيئَةٍ" [1] وذلك في قوله: (وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى، فَإِنِ ابْتُلِيتَ فَلَا تَدُلَّ عَلَيَّ)، وقال له هنا (ستبتلى)، ولم يقل (ستختبر)؛ لاختصاص الابتلاء بالمكاره والمشاق، بينما الاختبار يكون في المكروه والمحبوب[2]؛ مما يجسد معاناة المبتلى.

وقد احترس بالتكميل [3] في قوله: (فَإِنِ ابْتُلِيتَ فَلَا تَدُلَّ عَلَيَّ)؛ لدفع توهم كون ابتلائه في غير دينه.

وبذلك يكون المولى – عز وجل – قد سخر للغلام هذا الحادث؛ لينهي به حيرته العقدية، ويهتدي لسبيل الرشاد دون شك أو تردد.

ثانيًا: ذيوع أمر الغلام ووصول خبره إلى الملك:

يتمثل في قوله – صلى الله عليه وسلم –: "وَكَانَ الْغُلَامُ يُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ، وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الْأَدْوَاءِ، فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ، فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ، فَقَالَ: مَا هَاهُنَا لَكَ أَجْمَعُ، إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي، فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ، فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِاللهِ دَعَوْتُ اللهَ، فَشَفَاكَ، فَآمَنَ بِاللهِ فَشَفَاهُ اللهُ، فَأَتَى الْمَلِكَ، فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ؟ قَالَ: رَبِّي، قَالَ: وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي؟ قَالَ: رَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى

(١) سنن ابن ماجة، لابن ماجة – وماجة اسم أبيه يزيد – أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت: ٢٧٣هـ)، تحقيق: (شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد – محمَّد كامل قره بللي – عَبد اللّطيف حرز الله)، [باب الصبر على البلاء، حديث رقم ٤٠٢٣، (٥/ ١٥٢)]، دار الرسالة العالمية، ط: الأولى (١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩ م).

(٢) ينظر: الفروق اللغوية ص٢١٦.

(٣) ينظر: الإيضاح (٢٠٨/٣).

الْغُلَامِ، فَجِيءَ بِالْغُلَامِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: أَيْ بُنَيَّ، قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ، وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ، فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا، إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ"[1]

يبدأ هذا الحدث بقوله – صلى الله عليه وسلم – : (وَكَانَ الْغُلَامُ يُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ، وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الْأَدْوَاءِ، فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ، فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ، فَقَالَ: مَا هَاهُنَا لَكَ أَجْمَعُ، إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي، فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا، إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ)

فقد ذاع أمر الغلام بما عُرف عنه من قدرة على مداواة الأمراض المستعصية، وقد وصل خبره للبلاط الملكي؛ حيث كان هناك جليس للملك أعمى يبحث عمن يرد عليه بصره، وقد جمع الهدايا وتوجه للغلام؛ رغبة في الشفاء، ورغبة منه في إغراء الغلام على الجد في تحصيل شفائه، يقول للغلام: (مَا هَاهُنَا لَكَ أَجْمَعُ، إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي) ببناء هذا الإغراء على الجملة الشرطية، التي قدم فيها جملة الجزاء عناية واهتمامًا [2] بمعناها؛ إدخالًا للسرور على نفس الغلام بكثرة الهدايا، واستنهاضًا لهمته في الاجتهاد في مداواته.

ولكن الغلام بيقين المؤمن يرد بكل قوة على اعتقاد جليس الملك بالخبر الإنكاري [3] في قوله: (إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا، إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ) الذي واجه به إصرار جليس الملك على قدرة الغلام على الشفاء بالسحر، وإنكار ما دون ذلك، وقد أكد له

(١) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لمسلم [بَابُ قِصَّةِ أَصْحَابِ الْأُخْدُودِ وَالسَّاحِرِ وَالرَّاهِبِ وَالْغُلَامِ، حديث رقم (٣٠٠٥) (٤/ ٢٢٩٩)].

(٢) ينظر: دلائل الإعجاز ص١٠٧.

(٣) ينظر: الإيضاح (٢/ ١٩٥).

الخبر بأكثر من مؤكد فأكده بـ(إن) المؤكدة، والتوكيد المعنوي بين مضمون الجملتين.

وبذلك يكون الغلام قد كشف عن سر مداواة الأدواء المختلفة، وهو الدعاء، وقد سلك الغلام معه الطريق نفسه الذي سلكه معه وهو الإغراء؛ حيث إنه أغراه بالشفاء حال إيمانه؛ إذ إنه سيدعو الله له بالشفاء فيشفيه، وقد عبر عن ذلك بالطريقة نفسها التي عبر بها جليس الملك فيما أغرى به الغلام وهي الجملة الشرطية في قوله: (فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِاللهِ دَعَوْتُ اللهَ فَشَفَاكَ) التي تخير لها البناء بأداة الشرط (إن) لشكه [1] في إقدام جليس الملك على الإيمان في ظل مكانته لدى الملك، واسمية جملة الشرط وتصديرها بضمير الخطاب (أَنْتَ)؛ إيقاظًا لعقله واستنهاضًا لهمته للشعور بذاتيته وحريته في اعتناق عقيدة تخلصه من امتلاك الملك له وسيطرته عليه وإلغاء شخصيته، وتأتي جملة الجزاء حاملة بغية الجليس في الشفاء، وقد كان من ذكاء الغلام أن علق شفاءه على دعاء الله؛ ليستنهض همته للإيمان بالله المتفرد بالقدرة على شفائه.

ويأتي الدليل العملي المشاهد من الجميع على صدق الغلام في قوله عن جليس الملك: (فَآمَنَ بِاللهِ فَشَفَاهُ اللهُ) فقد تسبب الإيمان بالله في شفائه، وكرر لفظ الجلالة، فلم يقل فشفاه فقط دون لفظ الجلالة تعظيمًا [2]، وتقريرًا لاختصاص المولى – عز وجل – بالأمرين دون غيره، فالإيمان لا يكون إلا بالله، والشفاء لا يكون إلا منه سبحانه.

وبسرعة البرق يصل خبر الغلام للملك من خلال جليسه: (فَأَتَى الْمَلِكَ

(١) ينظر : المطول ص١٥٤.

(٢) ينظر: حاشية الدسوقي على شرح السعد، شروح (١/ ٢٨٤) .

فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ؟ قَالَ: رَبِّي، قَالَ: وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي؟ قَالَ: رَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الْغُلَامِ، فَجِيءَ بِالْغُلَامِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: أَيْ بُنَيَّ، قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ، وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ، فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا، إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ)

فرد بصر الجليس ينفث في نفس الملك العديد من التساؤلات التي كأن أولها استفهام التعجب قوله: (مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ؟)، وتأتي الإجابة التي تثير غضب الملك، وهي قول الجليس: (رَبِّي)، فينطلق الاستفهام الإنكاري من الملك على أثر هذه الإجابة قوله: (وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي؟) مستنكرًا إجابته؛ لأنه لا يرى ربًا لرعيته سواه، وطالما لم يقم هو برد بصره بمعونة سحرته فمن يكون هذا الرب الذي رد بصر جليسه، ويظهر بوضوح في استنكاره الاستفهامي روح العزة بالإثم دون مبرر سوى الكفر وحب التملك والسيطرة، وتأتي إجابة الجليس التي تذهب عقل الملك قوله: (رَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ)، قصدًا من الجليس في التسوية بينهما في الإله المعبود بدلالة الواو العاطفة الدالة على مجرد الجمع [1] دون تفريق.

وقد ترتب على هذه الإجابة القبض على الجليس على الفور وإنزال أشد العذاب به بدلالة فاء السببية التي صدر بها الجملة الواصفة لموقف الملك من الجليس قوله: (فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ)، وذلك لشيء في نفسه، وهو الإقرار على من غير فكره إلى هذا النحو من اعتقاد الألوهية لغير الملك، وبالفعل تتحقق غاية

(١) ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني، لأبي محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله ابن عليّ المرادي المصري المالكي (ت: ٧٤٩هـ)، تحقيق: (د: فخر الدين قباوة ، الأستاذ محمد نديم فاضل)، ص١٥٩، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: الأولى (١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م).

الملك، ويؤتي هذا التعذيب ثماره في إرشاد جليس الملك عن الغلام في قوله: (حَتَّى دَلَّ عَلَى الْغُلَامِ) بدلالة بـ(حتى) الغائية [1] الكاشفة عن تحقق غاية الملك.

وتتتابع الأحداث بسرعة مذهلة، فيجيء الجنود بالغلام على الفور، وعمد إلى حذف المسند إليه – الجنود – في قوله: (فَجِيءَ بِالْغُلَامِ) ؛ لـ"ضيق المقام" [2] عن الإطالة بسبب سوء الحالة النفسية للملك، فضلًا عما في حذف المسند إليه من دلالة خفية على قوة جبروت الملك وانصياع رعيته لأوامره.

وفي محاولة تكشف عن دهاء الملك في مخاطبة الغلام؛ لاستمالته إلى جانبه لتطويع سحره لخدمته وتثبيت ملكه، يناديه نداء القريب المدلل مع تحقق بعده عنه في قوله: (أَيْ بُنَيَّ) كنوع من المداراة؛ ومما يؤكد رغبته في استمالة الغلام الخبر التالي للنداء قوله: (قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ، وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ) الذي قصد منه حمل الغلام على الإقرار بوصوله لمنتهى غاياته في التمكن من السحر بصدور هذه الأفعال منه، جريًا على عادة الملك في تسخير السحر لحل جميع المشكلات وتسيير أمور المملكة.

وتأتي المفاجأة في رد الغلام على الملك المبدد لكل تطلعاته في صورة الخبر الإنكاري المؤكد بأكثر من مؤكد هي: إنِّ المؤكدة، والتوكيد المعنوي للجملة في قوله: (إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا، إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ) وتكرار نفس الرد من الغلام للملك وجليسه يؤكد ثباته على عقيدة التوحيد في أي مكان وزمان، حتى مع تمكن الملك منه. ومن هنا تبدأ معاناة الغلام الحقيقية مع الملك لمحاولة رده عن عقيدته.

---

(١) ينظر: مغني اللبيب (١/ ١٤٣).

(٢) الإيضاح (٢/ ٤).

ثالثا: تعذيب وترهيب وقتل المؤمنين:

يتمثل في قوله – صلى الله عليه وسلم –: "فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ، فَجِيءَ بِالرَّاهِبِ، فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى، فَدَعَا بِالْمِنْشَارِ، فَوَضَعَ الْمِنْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيسِ الْمَلِكِ، فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى فَوَضَعَ الْمِنْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ."[1]

سلك الملك مع الغلام المسلك نفسه الذي سلكه مع جليسه من حيث التعذيب حتى يقر على من كان سببًا في إيمانه في قوله: (فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ)، ولكن يأتي الاختلاف هنا في مواجهة الراهب مباشرة بالرجوع عن دينه بطريق الإنشاء الطلبي الصريح في صورة الأمر في قوله: (ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ)، وجاء بالأمر من الرجوع لما فيه من المعاني التي قصدها الملك من الترك[2] والعود إلى ما كان عليه قبل ذلك [3] حرصًا على استقرار ملكه.

وقال (ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ)، ولم يقل (ارجع عن ملتك)؛ لأن كل ما يعنيه هو "اعتبار الطاعة والانقياد"[4] له دون غيره، لا ذات الشريعة نفسها.

ولكن الراهب على الفور يأبى الرجوع عن دينه دون تردد أو تفكير؛ ولذلك صدر امتناعه بفاء التعقيب في قوله: (فَأَبَى)، وقال هنا (فأبى)، ولم يقل (فامتنع)؛

---

(١) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لمسلم [بَابُ قِصَّةِ أَصْحَابِ الْأُخْدُودِ وَالسَّاحِرِ وَالرَّاهِبِ وَالْغُلَامِ، حديث رقم (٣٠٠٥) (٤/ ٢٢٩٩)].

(٢) ينظر: الكليات ص ٤٧٩.

(٣) ينظر: المفردات في غريب القرآن ص ٣٤٢.

(٤) الكليات ص ٤٤٣.

لأن الإباء "شدة الامتناع"[١]، فضلًا عما في الإباء من دلالة على الامتناع مع القدرة على الامتناع [٢]، والقدرة هنا نابعة من قوة الإيمان وصدق العقيدة.

وتتابع الأحداث عقب ذلك بصورة سريعة مرعبة تكشف عن انتزاع الرحمة من قلب الملك، فلا تدع مجالًا لاستيعابها من فرط سرعتها، وتتابع أحداثها، وقسوتها على النفس الإنسانية؛ مما يؤكد عدم تهاون هذا الملك مع من يحاول زعزعة ملكه، وانتزاع سلطانه على مملكته على حد اعتقاده، وذلك في قوله: (فَدَعَا بِالْمِنْشَارِ، فَوَضَعَ الْمِنْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ)، فقد صدر جميع جمل إجراءات قتله للراهب بالفاء الدالة على السرعة والتتابع وعدم ترك مهلة للراهب للتفكير في الأمر؛ ليكون عبرة لغيره، فضلًا عن الرغبة في سرعة منع انتشار هذا الدين بالقضاء على دعاته.

وقال (فدعا)، ولم يقل (فطلب)؛ لأن دعا فيها معنى الطلب دون وجه حق بظلم وافتراء [٣]، ولعل ما دعا الملك لذلك هو قدرته على رعيته بجبروته وسلطانه، وعدم خوفه من قصاص حاكم الكون، واستعمال المنشار في القتل يدل على الرغبة في التعذيب والتمثيل بالمقتول، ويؤكد ذلك ما فعل به بعد إحضار المنشار من شقه نصفين دون رحمة، وكأنه ينتقم منه على إيمانه ومخالفته له في العقيدة، ويأتي الإطناب بالتتميم في قوله: (حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ) مبالغة في وصف قسوة العذاب في القتل، فضلًا عن وصف جبروت هذا الملك وموت قلبه في التعامل مع المؤمنين.

وعلى النحو نفسه كان تعامل الملك مع جليسه من حيث الأمر بالرجوع

---

(١) المفردات في غريب القرآن ص ٥٨.

(٢) ينظر: الفروق اللغوية ص ١٢٨.

(٣) ينظر: الفروق اللغوية ص ٣٨.

عن الدين، ورفض الجليس وقتله بالطريقة نفسها التي قتل بها الراهب في قوله: (ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيسِ الْمَلِكِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى فَوَضَعَ الْمِنْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ) لمزيد من تعذيب وترهيب المؤمنين بالقتل قضاءً على هذا الدين، الذي يرى فيه الملك نهاية لملكه وسلطانه، وذكر ما حدث مع الجليس بالتفصيل على صورة الإطناب بالتكرير للحكاية نفسها لتأكيد الإنذار[1] بالنسبة للغلام، فلم يكتف بمجرد الإشارة نحو أن يقول: وكذلك فعل بالجليس، تصويرًا لمدى قسوة قلب الملك وانتزاع كل معاني الإنسانية من قلبه قِبَل المؤمنين بتكرير نفس المشهد، وكأنها كاميرا سينمائية تعيد المشهد، وتستحضره أمام أعين السامعين أو القارئين للحديث.

وقد سلك الملك في هذا الحدث مسلكين حيث بدأ بمن آمن علي يده الغلام في القتل، وثنى بمن آمن على يد الغلام، وهو الجليس لترهيب الغلام وإنزال الرعب بقلبه بقتل من كان يجد فيهم سندًا وعزة على حد اعتقاد الملك، ولعله فعل ذلك أولًا فلم يبدأ بقتل الغلام؛ رغبة منه في محاولة رده عن دينه برؤيته تعذيب وقتل من كان يركن إليهم؛ ليخضع لرغبته، ويسخر سحره لخدمته وتوطيد ملكه؛ مما يكشف عن دهاء الملك الذي لا يسعى من ورائه إلا لتحقيق مصلحته الشخصية.

رابعًا: محاولات قتل الغلام الفاشلة:

تتمثل في قوله – صلى الله عليه وسلم – "ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلَامِ، فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلِ كَذَا وَكَذَا، فَاصْعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ، وَإِلَّا فَاطْرَحُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعِدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَقَالَ: اللهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَرَجَفَ بِهِمِ الْجَبَلُ فَسَقَطُوا، وَجَاءَ

(١) ينظر: الإيضاح (٣/ ٢٠٠).

يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللهُ، فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ فَاحْمِلُوهُ فِي قُرْقُورٍ، فَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَاقْذِفُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ، فَقَالَ: اللهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَانْكَفَأَتْ بِهِمِ السَّفِينَةُ فَغَرِقُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللهُ"[1]

وهنا تشتد الأزمة بين الغلام والملك، فتتعدى مجرد محاولة قتله كما فعل بالراهب والجليس إلى محاولة ترهيبه بسوء القتلة، التي تجمع بين القتل والتمثيل؛ ليتراجع عن دينه فينجو، وهذا ما يتمناه الملك؛ ليستفيد من سحره على حد اعتقاده، أو لا يتراجع، فيقتل أسوأ قتلة، ويكون عبرة لغيره.

فبعد قتله للراهب والجليس توجه للغلام، ولكن ليس على الفور، بل على التراخي في قوله: (ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلَامِ، فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى) بدلالة (ثم) التي صدر بها الجملة، الدالة على الترتيب والتراخي[2]، والتي تكشف عن ترك الملك للغلام مهلة من الزمن لمحاولة التفكير وأخذ العبرة من مقتل الراهب والجليس، ثم طلب منه الرجوع عن دينه ،ولكنه أبى، وبائت محاولة الملك لإرجاع الغلام عن دينه بالفشل.

وعلى الفور يعمد الملك لتخير أسوأ قتلة للغلام، وكانت أول محاولة لقتله ما جاء في قوله: (فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلِ كَذَا وَكَذَا،

---

(١) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لمسلم [بَابُ قِصَّةِ أَصْحَابِ الْأُخْدُودِ وَالسَّاحِرِ وَالرَّاهِبِ وَالْغُلَامِ، حديث رقم (٣٠٠٥) (٤/ ٢٢٩٩)].

(٢) ينظر: مغني اللبيب (١/١٣٧) ، دلالات التراكيب ، ص٣٣٩.

فَاصْعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ، وَإِلَّا فَاطْرَحُوهُ)، والفاء تشير إلى سرعة الدفع بالغلام لأصحابه، والدفع هنا يشير إلى تسليمه بعنف؛ رغبة من الملك في الانتقام منه بالقضاء عليه بالترهيب أولًا، ثم تنفيذ أمر قتله؛ جزاءً له على مخالفته.

وقال هنا: (فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ)، ولم يقل: (فدفعه إلى أصحابه) دون وصف (نفر)؛ تناسبًا مع المهمة التي كلفوا بها من قتل الغلام؛ حيث إن " النفر الجماعة نحو العشرة من الرجال خاصة ينفرون لقتال وما أشبهه" [١] من أمور فيها معنى القتل، وخص أصحابه بهذه المهمة، لما في الصحبة من معنى الانتفاع المتبادل بين الأصحاب [٢]، فضلًا عما بينهم من الثقة لطول صحبته لهم وطول تلازمهم [٣] وثقته بتنفيذهم لأوامره؛ حرصًا على بقاء ملكه.

ويسرد الملك إجراءات تنفيذ قتل الغلام، التي بدأها بالأمر الصريح الدال على استصحاب الغلام والمضي معه [٤] خوفًا من هربه في قوله: (اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلِ كَذَا وَكَذَا، فَاصْعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ، وَإِلَّا فَاطْرَحُوهُ) ، واختار الجبل خاصة؛ لمزيد من الترهيب، وبنى جملة الشرط بـ(إذا) والفعل الماضي؛ ليقينه بتنفيذ أصحابه لأمره وعدم مخالفته، واختار ذروة الجبل لتنفيذ مخططه، حتى يكون السقوط منها قاتلًا.

ويأتي شكه الممتزج باليقين في ثنايا الجملة الشرطية المتمثل في جوابها

(١) الفروق اللغوية ص٢٨٠.

(٢) ينظر: الفروق اللغوية ص٢٨٣ ، ٢٨٤.

(٣) ينظر: الكليات ص٥٥٨.

(٤) ينظر: السابق ص٤٦٣.

بعدما رأى إصرار الغلام على الثبات على دينه مع قسوة ما عاينه من جراء قتل الراهب والجليس في قوله: (فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ، وَإِلَّا فَاطْرَحُوهُ)، وأصل الجملة: (فإن رجع عن دينه فارجعوا به ، وإلا فاطرحوه) فحذف أحد شقي جملة الجزاء (فارجعوا به)؛ لدلالة السياق عليها، فضلًا عن قصد المسارعة إلى ذكر كيفيك الانتقام من الغلام لمخالفته للملك، وقال (فَاطْرَحُوهُ)، ولم يقل (فألقوه)؛ لما في الطرح من معنى لا يتوفر في الإلقاء، وهو الإلقاء بقوة وعنف دون رحمة أو تهاون.

وعلى الفور بدأ أصحاب الملك في تنفيذ أمره (فَذَهَبُوا بِهِ، فَصَعِدُوا بِهِ الْجَبَلَ)، ولكن يقين الغلام بأن الله منجيه، ولن يتركه، جعل لسانه ينطلق بالدعاء بطلب معونته – سبحانه – على ما أرادوا به، (فَقَالَ: اللهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ) رغبة في نجاته منهم بإرادة الله وقدرته، وعلى الفور تحيط به العناية الإلهية في قوله: (فَرَجَفَ بِهِمِ الْجَبَلُ فَسَقَطُوا)، ويتوجه الغلام للملك؛ ليفاجئه بنجاته مع كثرة ما أرسل معه من أصحابه؛ حتى لا يتمكن من الهرب، فيهلكهم الله بإرادته في قوله: (وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللهُ)، وجاءه يمشي مما يدل على أنه في كامل صحته، ولم يصبه مكروه، وبذلك تكون محاولة الملك الأولى لقتل الغلام قد بائت بالفشل؛ مما جعله تظهر عليه علامات التعجب والحيرة والإنكار في قوله: (مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟) باستفهام التعجب والحيرة والإنكار، وقد بلغ من عجبه من نجاة الغلام أن جعل أصحاب الملك المكلفين بقتل الغلام أصحابًا للغلام بقوله: أولًا: (فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ)، ثم (مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟) بتبادل الأدوار بينهما في الصحبة تعجبًا وحيرة وإنكارًا لما يراه من سلامة الغلام من الأذى.

وعلى الفور يعمد الملك لمحاولة أخرى لقتل الغلام، وعلى النحو نفسه من الرغبة في أسوأ قتلة للغلام يختار له ميتة الغرق؛ حرصًا منه على كامل تعذيبه،

ومما يؤكد ذلك أمره لأصحابه بتوسط البحر حال قذفه؛ حتى لا يجد له منقذًا في قوله: (فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ فَاحْمِلُوهُ فِي قُرْقُورٍ، فَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ) واختار ميتة الغرق؛ لأن "الغرق في الأصل دخول الماء في سَمَّي الأنف حتى تمتلئ منافذه فيهلك" [1] مما يجسد عظيم معانة الغريق بمصارعته للموت تحت الماء دون ملجأ ولا مهرب حتى ينتهي به الأمر لفقد القدرة على التنفس بسبب الماء، الأمر الذي يسلمه للموت الحتمي في قاع البحر.

وبعد ذكر الملك لإجراءات قتل الغلام غرقًا، تأتي اللحظة الحاسمة المحددة لمصير الغلام، والتي بناها على النحو السابق من الشرط الحامل لمعنى الشك بـ(إن) الشرطية، وحذف أحد شقي جملة الجزاء؛ رغبة منه في ترك فرصة للغلام للرجوع عن دينه في قوله: (فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَاقْذِفُوهُ)، وقال (فَاقْذِفُوهُ)؛ لما في القذف من دلالة على "الرمي البعيد" [2] بكل قوة حتى لا يكون هناك أمل في نجاته.

وبالفعل شرع أصحاب الملك في تنفيذ أمره على الفور في قوله: (فَذَهَبُوا بِهِ) وما كان من الغلام سوى اللجوء إلى المولى – عز وجل – بالدعاء كعادته، (فَقَالَ: اللهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ)، وعلى عادة المولى – عز وجل – مع الغلام في استجابة الدعاء يستجيب لدعائه، ويهلكهم، فيموتون بنفس الميتة التي قصدوا إهلاكه بها في قوله: (فَانْكَفَأَتْ بِهِمِ السَّفِينَةُ فَغَرِقُوا).

ويفاجئ الملك للمرة الثانية بنجاة الغلام وهلاك أصحابه حينما يأتيه يمشي على النحو السابق نفسه في قوله: (وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ

(١) المعجم الاشتقاقي ص١٥٧٤.

(٢) المفردات في غريب القرآن ص٦٦١.

أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللهُ).

وبذلك تكون جميع محاولات الملك لقتل الغلام قد بائت بالفشل؛ رحمة من الله بعبده المؤمن، ورغبة في إعلاء كلمة الحق بالتفكر فيما حدث مع الغلام.

خامسًا: تضحية الغلام بنفسه في سبيل رفع راية الدين الحق:

تتمثل في قوله – صلى الله عليه وسلم – "فَقَالَ لِلْمَلِكِ: إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ، قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَتَصْلُبُنِي عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي، ثُمَّ ضَعِ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قُلْ: بِاسْمِ اللهِ رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ ارْمِنِي، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي، فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَصَلَبَهُ عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبْدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قَالَ: بِاسْمِ اللهِ، رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ فَمَاتَ، فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، فَأُتِيَ الْمَلِكُ فَقِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ؟ قَدْ – وَاللهِ – نَزَلَ بِكَ حَذَرُكَ، قَدْ آمَنَ النَّاسُ"[1]

وتظهر هنا أسمى معاني التضحية، وهي التضحية بالنفس؛ حيث يصارع الغلام نداء النفس الإنسانية بالرغبة في الحياة، فيقتل نداء الفطرة؛ رغبةً في النعيم الدائم الذي وعد الله به عباده المتقين، فدل عدوه بنفسه على طريقة قتله؛ حيث يبدأ حدث تضحية الغلام بنفسه في سبيل عقيدته بقول الغلام: (فَقَالَ لِلْمَلِكِ: إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ)؛ لتقرير عجز الملك عن قتل الغلام بالجملة

(١) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لمسلم [بَابُ قِصَّةِ أَصْحَابِ الْأُخْدُودِ وَالسَّاحِرِ وَالرَّاهِبِ وَالْغُلَامِ، حديث رقم (٣٠٠٥) (٤/ ٢٢٩٩)].

المؤكدة بـ(إن) المنفية بـ(ليس) لتأكيد نفي قدرة الملك على قتله مهما سلك من طرق، والتقييد بـ(حتى) هنا يفيد تأكيد البُعد المعنوي للغاية وتوقف القتل عليها.

وقد امتلأت نفس الملك حيرة بكلام الغلام؛ مما جعل لسانه ينطلق بالاستفهام الذي يتفجر شوقًا ولهفةً ورغبةً في الانتقام من الغلام بمعرفة ما سيمكنه من قتله في قوله: (قَالَ: وَمَا هُوَ؟).

وعلى الفور يسرد له الغلام بكل شجاعة إجراءات قتله في قوله: (قَالَ: تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَتَصْلُبُنِي عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي، ثُمَّ ضَعِ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قُلْ: بِاسْمِ اللهِ رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ ارْمِنِي، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي)، وعبر عن جمع الناس وصلبه بصيغ المضارع الدالة على التجدد والاستمرار[1] رغبة من الغلام في استمرار جمعه للناس في صعيد واحد وصلبه له؛ لمزيد من التشويق للناس لمتابعة الحدث؛ حرصًا من الغلام على حضور أكبر عدد ممكن من الناس؛ ليشاهدوا الحدث بأعينهم؛ أملًا في إيمانهم واتباعهم الدين الحق، فضلًا عما في التعبير بصيغة المضارع من استحضار صورة المشهد في أذهان السامعين في الأزمنة اللاحقة؛ لتكون القصة أشد تأثيرًا، واختار الصلب خاصة لما فيه من فظاعة التمثيل التي تستنهض همة الملك لتنفيذ رغبته في الانتقام من الغلام، والتي سعى إليها مرارًا في محاولاته السابقة لقتله.

بينما جاء بباقي إجراءات قتله بصيغة الأمر احتقارًا[2] من الغلام لأمر قتله وهوان نفسه عليه في سبيل رفع كلمة الدين الحق، وذكر هذه الإجراءات على

(١) ينظر: دلائل الإعجاز ص١٧٤.

(٢) ينظر: مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح ، لابن يعقوب المغربي، (٢ / ٣١٨)، دار إحياء الكتب العربية، مطبعة: عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر.

التراخي بدلالة (ثم) في قوله: (ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي، ثُمَّ ضَعِ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قُلْ: بِاسْمِ اللهِ رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ ارْمِنِي)؛ حتى يتمكن جمع الناس من مشاهدة الأحداث المتتالية بتأنٍ ؛ للتفكر فيما يحدث لالتماس العبرة، ومما يؤكد احتقار الغلام لأمر قتله؛ احتقاره لأمر الملك ذاته الواضح في قوله: (ثُمَّ قُلْ: بِاسْمِ اللهِ رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ ارْمِنِي)، و(القول) هنا يشير إلى ذكاء الغلام في رغبته لنطق الملك باسم ربه بصوت مسموع مجهور به؛ حتى يكون أشد تأثيرًا في جمع الناس بما سينتج عنه حال رميه بالسهم.

وجاء بقوله: (فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي) تذييل لقوله في مطلع هذا الحدث: (إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ) حيث عقب تلك الجملة بجملة تشتمل على معناها للتأكيد [1] لمعنى تمكنه من قتل الغلام باتباع تلك الإجراءات؛ ومما يقرر ذلك مجيئه بجملة التذييل في صورة الجملة الشرطية المجزوم بتحقق وقوعها بدلالة (إذا، والشرط والجزاء الماضيين).

ومن حكمة الله– تعالى – أنه إذا أراد أمرًا هيَّأ له الأسباب؛ إذ يقوم الملك بتنفيذ كل ما طلبه منه الغلام دون تفكير في قوله: (فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَصَلَبَهُ عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبْدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قَالَ: بِاسْمِ اللهِ، رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ رَمَاهُ) فجمع الناس وصلب الغلام على الفور، ولكنه تراخى في أخذ السهم وتنفيذ باقي الإجراءات؛ لعل الغلام يتراجع عن موقفة بعد مشاهدة جمع الملك للناس وصلبه له عقب كلامه دون انتظار.

ويموت الغلام على الفور هنا بدلالة فاء التعقيب في قوله: (فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ فَمَاتَ) مما يؤكد صدق

(١) ينظر: الإيضاح (٣/ ٢٠٥).

عقيدته، فليس هناك مجال للشك فيها بدليل ما حدث عقب التسمية باسم رب الغلام، مع أن السهم لم يقع منه في مقتل كالقلب مثلًا، بل هي إرادة الله لنصرة دينه، وتقرير صدق الغلام.

وتقع المفاجأة التي لا يتوقعها الملك في قوله: (فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ) حيث يؤمن جميع الناس في وقت واحد بسبب ذكاء الغلام وتضحيته بنفسه، والتوكيد اللفظي هنا في مقولة الناس قصد منه إعلان الإيمان وتقريره والتحدي للكفار بالتكرير الثلاثي لجملة التوحيد، التي زلزلت الصعيد تحت أقدام الملك وأعوانه؛ مفاجأة وتخبطًا.

وتزداد الأوضاع سوءًا برد فعل بطانة الملك حيال ما حدث في قوله – صلى الله عليه وسلم – : (فَأُتِيَ الْمَلِكُ، فَقِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ؟ قَدْ – وَاللهِ – نَزَلَ بِكَ حَذَرُكَ، قَدْ آمَنَ النَّاسُ) في صورة الاستفهام الذي يفيد "التقرير" [1] مع اللوم للملك لانسياقه خلف كلام الغلام دون نظر إلى العواقب، وقالوا: (أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ؟) من الحذر؛ خاصةً لأن الملك تحفظ مما لم يكن مع يقينه بوقعه[2] وقد وقع بالفعل بإرادة الله إعلاءً لكلمة الحق.

وتزداد نبرة اللوم علوًا بقولهم: (قَدْ – وَاللهِ – نَزَلَ بِكَ حَذَرُكَ)، ويأتي عقب ذلك التوكيد المعنوي المقرر للوم في قوله: (قَدْ آمَنَ النَّاسُ)، بالخبر الدال على تحقق الوقوع في الجملتين، بدلالة (قد) التحقيقية[3] والأفعال الماضية متحققة

(١) معاني النحو (٤/ ٢٣٤).

(٢) ينظر: الفروق اللغوية ص٢٤٠.

(٣) ينظر: مغني اللبيب (١ / ١٩٣).

الوقوع [١].

وجمع في اللوم بين الإنشاء بالاستفهام، والخبر بالجملتين الخبريتين؛ لتنويع صور المعنى في اللوم؛ حثًا للملك من بطانته على محاولة السيطرة على الأوضاع ومعالجة الموقف بأسرع ما يمكن.

وبذلك يكون الغلام قد ضرب أروع الأمثلة في التضحية بالنفس، بضرب مثل متفرد في التضحية بإرشاد عدوه بنفسه إلى سبيل قتله؛ طاعة لله ورغبة في رفع راية الدين القويم.

سادسًا: تعمد الكفار تحريق المؤمنين والتشفي بتعذيبهم:

يتمثل في قوله – صلى الله عليه وسلم – "فَأَمَرَ بِالْأُخْدُودِ فِي أَفْوَاهِ السِّكَكِ، فَخُدَّتْ، وَأَضْرَمَ النِّيرَانَ، وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَأَحْمُوهُ فِيهَا، أَوْ قِيلَ لَهُ: اقْتَحِمْ، فَفَعَلُوا"[٢]

وهنا يظهر رد فعل الملك تجاه ما تعرض له من لوم من بطانته، حيث أمر جنوده "على وجه الاستعلاء" [٣] – الذي لا يقبل تأخرًا أو ترددًا في تنفيذه – بشق الأخاديد العميقة على قوارع الطرق، وجعلها (فِي أَفْوَاهِ السِّكَكِ)؛ رغبة منه في معاينتها من الجميع؛ لمزيد من الترهيب والتعذيب النفسي بمناظرها المفزعة قبل الإلقاء بهم فيها، وقال: (وَأَضْرَمَ النِّيرَانَ) ليدل بصيغة الإضرام على شدة لهيب

(١) ينظر: المطول ص١٥٤.

(٢) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لمسلم [بَابُ قِصَّةِ أَصْحَابِ الْأُخْدُودِ وَالسَّاحِرِ وَالرَّاهِبِ وَالْغُلَامِ، حديث رقم (٣٠٠٥) (٤/ ٢٢٩٩)].

(٣) المطول ص٢٣٩.

النيران التي لا تخمد بسبب تجدد وقودها، وقام الجنود بالفعل بشق الأخاديد وأضرموا بها النيران.

وعقب تنفيذ جنوده لأمريه من شق الأخاديد وإضرام النيران بها، أمرهم بأمر ثالث تمثل في قوله: (وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَأَحْمُوهُ فِيهَا، أَوْ قِيلَ لَهُ: اقْتَحِمْ) ومقولته هذه تمثل إنذارًا آخر للمؤمنين، لترك فرصة أخيرة لهم للتراجع عن عقيدتهم، بعد الإنذار الأول الذي تمثل في شق الأخاديد، وإضرام النيران بها، وإلقاء الرعب في قلوبهم بمناظرها المخيفة، والأمر في قوله: (فَأَحْمُوهُ فِيهَا) يفيد التشفي بالمؤمنين بتعمد تحريقهم دون رحمة؛ فقد جعلهم بتلك الصيغة وقودًا للنار؛ إذ إن الحمي مصدر الحرارة المتولدة من النار[١]، وهذا يصور تعمد التشفي بتحريقهم وإذابة أجسادهم بالنار؛ انتقامًا منهم على مخالفة الملك، ومما يقرر شدة الرغبة في تعذيبهم، أمرهم أنفسهم باقتحام النار في قوله: (اقْتَحِمْ) الذي ينم عن رمي الإنسان بنفسه من غير روية[٢] وسط شدة مخيفة [٣]، فيكون إهلاكه لنفسه بيده، ولعل هذا يصور منتهى التعذيب، حين تؤمر النفس البشرية بالإلقاء بنفسها في التهلكة من ذي سلطان، انتزعت من قلبه الرحمة، وفقدت النفس البشرية إرادتها أمام بطشه وسلطانه.

وقد تحقق كل ما أراده هذا الملك، وأمر به على يد جنوده على الفور بدلالة قوله: (فَفَعَلُوا)؛ فالعطف بالفاء يفيد السرعة وعدم التراخي من المؤمنين في إلقاء أنفسهم في النار؛ طمعًا في نيل الشهادة في سبيل إعلاء دين الله – تعالى – وثقة منهم في الأجر والثواب منه – سبحانه – هذا فضلا عن أن مادة (ف ع ل) "

(١) ينظر: المفردات في غريب القرآن ص٢٥٨.

(٢) المعجم الاشتقاقي ص١٧٣٩.

(٣) ينظر: المفردات في غريب القرآن ص٦٥٦.

تستعمل في الأحداث العنيفة... وفي إنزال العذاب" [1] كما حدث هنا.

وتتابع توافد المؤمنين على الأخاديد بكل شجاعة، ثقة في نصر الله، وحسن ثوابه على تحمل عذاب الإحراق في الدنيا بإبدالهم عن هذا العذاب في الدار الفانية بالنعيم الدائم في جنة الخلد الباقية مناط سعي المؤمن وغاية أمانيه.

من خلال العرض والتحليل السابق لتنوع التعبير عن أحداث قصة أصحاب الأخدود بين الوحيين، يظهر اتحاد الوحيين في حدث واحد من أحداث القصة، وهو تعمد الكفار تحريق المؤمنين والتشفي بتعذيبهم، بينما اختلفا في باقي الأحداث؛ حيث ظهرت باقي أحداث قصة أصحاب الأخدود في القرآن الكريم من خلال: وصف النار التي أعدت لإحراق المؤمنين، وسر تعذيب المؤمنين بالإحراق، وجزاء الكفار، وجزاء المؤمنين.

بينما ظهرت باقي أحداث قصة أصحاب الأخدود في السنة النبوية من خلال: توطئة القصة، التي اشتملت على: (حيرة الغلام بين الساحر والراهب، والحادث الذي قضى على حيرة الغلام) ، وذيوع أمر الغلام ووصول خبره إلى الملك، وتعذيب وترهيب وقتل المؤمنين، ومحاولات قتل الغلام الفاشلة، وتضحية الغلام بنفسه في سبيل رفع راية الدين الحق.

مع وفاء كلٍّ من الأحداث بأغراض القصة على الوجه الأكمل، ولكن بصور متنوعة كما سبق العرض.

(١) المعجم الاشتقاقي ص١٦٩٢.

المبحث الثالث

تنوع التعبير عن خاتمة قصة أصحاب الأخدود بين الوحيين

تنوع التعبير عن خاتمة القصة في الوحيين، فتمثلت خاتمة القصة في القرآن الكريم في قوله تعالى: {إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾} [البروج ١٢ : ١٦].

بينما تمثلت خاتمة القصة في السنة النبوية في قوله – صلى الله عليه وسلم – : "حَتَّى جَاءَتِ امْرَأَةٌ، وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا، فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا، فَقَالَ لَهَا الْغُلَامُ: يَا أُمَّهْ، اصْبِرِي؛ فَإِنَّكِ عَلَى الْحَقِّ."(١)

أولاً: خاتمة القصة في القرآن الكريم:

تتمثل في قوله تعالى: {إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾} [البروج ١٢ : ١٦]

فالخاتمة هنا تعرض صورًا متنوعة من قدرة الله تتمثل في القدرة على البطش، والبدء والإعادة، والمغفرة، وفعل ما يوافق إرادته سبحانه، وهذه الخاتمة تشير إلى عدالته – سبحانه – في الفصل بين أهل الباطل والحق.

وقد جاءت الخاتمة في صورة الخبر الإنكاري، الذي تعددت فيه عوامل التأكيد، نحو التأكيد بـ (إن)، واسمية الجملة، ولام التأكيد، وضمير الفصل؛ تضافرًا مع تأكيد قدرة المولى – عز وجل – على تلك الأمور.

---

(١) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لمسلم [بَابُ قِصَّةِ أَصْحَابِ الْأُخْدُودِ وَالسَّاحِرِ وَالرَّاهِبِ وَالْغُلَامِ، حديث رقم (٣٠٠٥) (٢٢٩٩/٤)].

والخاتمة هنا تقع تعليلًا لجزاء الكافرين والمؤمنين المتقدم ذكره في أحداث القصة؛ لتثبيت المعاني وإقناع المخاطبين والسامعين بها.

فكانت أول صورة من مظاهر قدرته المعللة لجزائه للكافرين قوله تعالى: {إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ} وأكده بـ (إن المؤكدة، واسمية الجملة الدالة على الثبوت، ولام التأكيد المقترنة بالخبر المؤكدة لمضمونه[1]) ، فبدأ التعليل بوصف بطشه – سبحانه – بالجبابرة والكفرة، الدال على الغلبة والقهر والقوة في الأخذ[2] التي لا تضاهيها قوة؛ إذ إن أخذه أخذ عزيز مقتدر.

و"السر في ذكر اسم (الرب) – سبحانه – بدلا من اسم (الله) – عز وجل – مع أن اسم (الله) فيه من الجلال والرهبة، وقد يظن أنه المناسب هنا؛ لأنه فيه تأنيسًا وتطمينًا للنبي– صلى الله عليه وسلم – ولذلك وجه الخطاب للنبي – صلى الله عليه وسلم – في قوله: {إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ} ؛ لأن بطش الله بالذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات فيه نصرة للنبي – صلى الله عليه وسلم – ، وتثبيت له ولمن معه، وإيذان بأن لكفار قومه نصيبًا موفورًا من هذا البطش والعذاب، وذلك بدليل إضافة الضمير في ربك، وفيه إشارة إلى أنه سنده الذي يركن إليه" [3] حال مس الضر.

---

(١) ينظر: مغني اللبيب (٢٣٢/١) ، جامع الدروس العربية، لمصطفى بن محمد سليم الغلاييني (ت: ١٣٦٤هـ)، (٢/ ٣٠٧)، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، ط: الثامنة والعشرون (١٤١٤هـ – ١٩٩٣م).

(٢) ينظر: معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبي الحسين (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (١/ ٢٦٢)، دار الفكر، ط: (١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م).

(٣) تفسير سورة البروج دراسة تحليلية ص٥٤٤.

ولم يكتف بذكر البطش فحسب، بل أتبعه بوصف الشدة؛ ليدل على "تضاعف وتفاقم"[١] قوته في الانتقام منهم، والتي أكدها باقتران هذا الوصف بلام التأكيد.

وقد وقع قوله: {إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ} "اعتراضًا بالبشارة في خلال الإنذار لترغيب المنذَرين في الإيمان، ولتثبيت المؤمنين على ما يلاقونه من أذى المشركين على عادة القرآن في إرداف الإرهاب بالترغيب" [٢] واهتمامًا من المولى – عز وجل – بمضمون الخبر الذي ختمت به القصة صدره بـ (إن المؤكدة) [٣] وتبرز بلاغة الاعتراض هنا في تعظيم [٤] الذات العلية بالكشف عن بعض صور قدرتها المرغبة في اتباع الدين الحق، والكاشفة عن جزاء أتباعه، ويظهر حسن الاعتراض هنا في "حسن الإفادة مع أن مجيئه مجيء ما لا معول عليه في الإفادة، فيكون مثله مثل الحسنة تأتيك من حيث لا ترتقبها." [٥]، فتحصل به الفائدة المرجوة.

ثم تأتي الصورة الثانية من مظاهر قدرته المعللة لجزائه للكافرين قوله تعالى: {إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ}، وقد تعددت فيه المؤكدات من :(إنَّ، واسمية الجملة، وضمير الفصل) ، وقد عبر عن الذات العلية بضمير الغيبة – الهاء – لـ "إبراز علو مكانته وبُعد منزلته" [٦] – سبحانه – عن ساحة الحضور، وعما يدعيه هؤلاء

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ٧٣٢).

(٢) التحرير والتنوير (٣٠/ ٢٤٧).

(٣) السابق نفسه.

(٤) ينظر: مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح (٢٣٨/٣).

(٥) الإيضاح (٣/ ٢١٨).

(٦) علم المعاني (دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني)، د/ بسيوني عبد الفتاح فيود، ص١١٥، مؤسسة المختار، ط: الثالثة (١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م).

الكفرة، "وضمير الفصل في قوله: { هُوَ يُبْدِئُ } للتقوي، أي لتحقيق الخبر"[١] في عموم القدرة على البدء والإعادة، والبطش في الآخرة بهذه الفئة الضالة المضلة.

"وحذف مفعولي الفعلين؛ لقصد عموم تعلق الفعلين بكل ما يقع ابتداء، ويعاد بعد ذلك، فشمل بدأ الخلق وإعادته، وهو البعث، وشمل البطش الأول في الدنيا والبطش في الآخرة، وشمل إيجاد الأجيال وإخلافها بعد هلاك أوائلها. وفي هذه الاعتبارات من التهديد للمشركين محامل كثيرة."[٢] فضلًا عما ينطوي عليه هذا الحذف من عموم قدرته – سبحانه –

وقد اتكأ هنا على ساعد طباق الإيجاب؛ حيث طابق بين لفظين موجبين [٣] هما:{ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ}؛ ليؤكد عظيم قدرته، فمع التباين التام بين (البدء، والإعادة) فهما يقعان في حيز قدرته – سبحانه – بل هو المتفرد بهما، وعبر عنهما بصيغة المضارع؛ ليدل على تجدد واستمرار قدرته عليهما.

وتبرز بلاغة الطباق هنا في كونه من باب تداعي المعاني التي تطلبها المقام، وقد أفصح عنها الطباق، وجعلها تتمكن في النفس فضل تمكن، و" السر في جمال الطباق فضلًا عن تثبيته المعنى في النفس – لأن الضد أقرب خطورًا بالبال إذا ذُكِرَ ضده – أنه يصف الشيء المتحدث عنه إزاء الضدين المتقابلين." [٤]

ثم تأتي الصورة الثالثة من مظاهر قدرته المعللة للطفه بعباده المؤمنين، وتتمثل في عدة صور للقدرة، ذكرت في قوله تعالى: { وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو

(١) التحرير والتنوير (٣٠/ ٢٤٨).

(٢) التحرير والتنوير (٣٠/ ٢٤٨).

(٣) ينظر: مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح (٤/٢٩٠).

(٤) أسس النقد الأدبي عند العرب ص٤٤٧.

ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴿١٦﴾}، "جملة معطوفة على جملة: {إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ}، ومضمونها قسيم لمضمون{إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ} ؛ لأنه لما أفيد تعليل مضمون جملة: {إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ} ناسب أن يقابل بتعليل مضمون جملة {إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ} ، فعلل بقوله: { وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ} ، فهو يغفر للذين تابوا وآمنوا وعملوا الصالحات ما فرط منهم، وهو يحب التوابين ويودهم .... أي: أنه يحب مخلوقاته ما لم يحيدوا عن وصايته. والمحبة التي يوصف الله بها مستعملة في لازم المحبة في اللغة تقريبًا للمعنى المتعالي عن الكيف، وهو من معنى الرحمة."[1]

وجاء في قوله: {وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ} بصيغ المبالغة على وزن فعول الذي يستعمل مع من "كان قويًا على الفعل" [2] و"كثر منه" [3] وقد وقع ذلك من المولى – عز وجل – حيث اعتاد بفضله على ستر الذنوب حماية [4] لعباده، كما اعتاد على إسداء الخيرات إحسانًا ومحبة منه لعبيده [5] وكثر منه – سبحانه – ذلك الستر، وتلك الحماية، وإسداء الخير مرارًا وتكرارًا.

"ولما ذكر الله من صفاته ما تعلقه بمخلوقاته بحسب ما يستأهلونه من

(١) التحرير والتنوير (٣٠/ ٢٤٩).

(٢) الفروق اللغوية ص ٢٤.

(٣) الكليات ص ١٠٠٣.

(٤) ينظر: المعجم الاشتقاقي ص١٥٩٤.

(٥) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د/ أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت:١٤٢٤هـ)، (٣/ ٢٤١٨)، عالم الكتب، ط: الأولى (١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م).

جزاء أعقب ذلك بصفاته الذاتية على وجه الاستطراد والتكملة بقوله: {ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ}؛ تنبيهًا للعباد إلى وجوب عبادته؛ لاستحقاقه العبادة لجلاله كما يعبدونه لاتقاء عقابه ورجاء نواله." (١)

"ثم ذيل ذلك بصفة جامعة لعظمته الذاتية وعظمة نعمه بقوله: فعال لما يريد، أي: إذا تعلقت إرادته بفعل، فعله على أكمل ما تعلقت به إرادته، لا ينقصه شيء، ولا يبطئ به ما أراد تعجيله. فصيغة المبالغة في قوله: "فعال" للدلالة على الكثرة في الكمية والكيفية." (٢)

"سر التعبير بفعَّال دون فاعل؛ للدلالة على أن ما يريده ويفعله في غاية الكثرة سواء في الكمية أو الكيفية؛ كما أنه في غاية السرعة والنفاذ، فهو إذا أراد شيئًا قال له كن فيكون." (٣)

بالإضافة إلى أن (فعَّال) صيغة مبالغة تفيد " الاستمرار والتجدد والتكرار والملازمة" (٤) ففعل ما يوافق إرادته مستمر ومتجدد يتكرر منه، ولا ينفك عنه – سبحانه – وإن خالف هوى الناس؛ لموافقته لحكمته التي لا يعلمها إلا هو.

ويظهر تنسيق (٥) الصفات في صنعة البديع في قوله: { وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾} حيث أتبع ذكر الذات العلية بصفات

(١) التحرير والتنوير (٣٠/ ٢٤٩).

(٢) السابق (٣٠/ ٢٥٠).

(٣) تفسير سورة البروج دراسة تحليلية ص٥٦٤.

(٤) معاني الأبنية ص٩٦.

(٥) التنسيق، من محاسن الكلام، وهو أن يأتي المتكلم بالكلمات من النثر، والأبيات من الشعر، متتاليات متلاحمات تلاحمًا مستحسنًا مستبهجًا، وتكون جملها ومفرداتها منسقة متوالية. خزانة الأدب وغاية الأرب، لابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي الأزراري (ت: ٨٣٧هـ) =

متتاليات متلاحمات تلاحمًا مستحسنًا مستبهجًا على سبيل المدح في وصف علاقته بعبيده المؤمنين.

وجاء في الخاتمة بفاصلة حرف (الدال) المفعم بالقوة [١] تناسبًا مع قدرة الله المعجزة التي لا يقوى عليها أحد سواه.

وفصل بين جملتي {إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ } لما بينهما من كمال الاتصال [٢] ؛ حيث اتفقت الجملتان في الخبرية لفظًا ومعنى، وكانت الجملة الثانية بيانًا وتعليلًا للأولى، وتكمن بلاغة الفصل هنا في" إفادة الإيضاح" [٣]؛ إذ إن الجملة الأولى فيها نوع خفاء، فجاء عطف البيان موضحًا له؛ إذ إن " للبيان بعد الإبهام وقعًا في النفس وأثرًا حسنًا، فالشيء، إذا أبهم تطلعت إليه النفس واشتاقت لبيانه، فإذا ما جاء البيان صادف نفسًا يقظة متطلعة، فيتمكن فيها فضل تمكن." [٤]

كما فصل بين جمل قوله: { وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾}، لما بينها من كمال الاتصال؛ حيث اتفقت الجمل في الخبرية لفظًا ومعنى، وكانت كل جملة بمثابة التوكيد المعنوي لسابقته، والتوكيد المعنوي هنا يفيد

= تحقيق: عصام شقيو،(٢/ ٣٨٨)، دار ومكتبة الهلال-بيروت، دار البحار-بيروت، ط: (٢٠٠٤م). وينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د/ أحمد مطلوب، ص٤٢٥، مكتبة لبنان ناشرون (بيروت ـ لبنان)، ط: (٢٠٠٧م).

(١) ينظر: التمهيد في علم التجويد ص٨٦.

(٢) الإيضاح ، هامش (١٠٧/٣).

(٣) الإيضاح (١١٣/٣).

(٤) علم المعاني ، ص٤٥٢.

"التقرير"[١] لمضمون الجمل.

ثانيًا: خاتمة القصة في السنة النبوية:

تتمثل في قوله – صلى الله عليه وسلم – : "حَتَّى جَاءَتِ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا، فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا، فَقَالَ لَهَا الْغُلَامُ: يَا أُمَّهْ، اصْبِرِي فَإِنَّكِ عَلَى الْحَقِّ " [٢]

وخاتمة القصة هنا تصور قدرة الله – تعالى – على إنطاق الطفل في المهد.

وهي تصور المشهد النهائي في القصة بقوله – صلى الله عليه وسلم – : (حَتَّى جَاءَتِ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا، فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا) فهو مشهد لامرأة تحمل طفلها، تقاعست عن الإقبال على النار، وقال هنا: (تقاعست)، ولم يقل: (قعست) مع دلالتهما على نفس المعنى من التأخر والثبات والامتناع [٣] عن اقتحام النار؛ لما في تقاعست من زيادة المبنى الدال على زيادة المعنى في التأخر والثبات والامتناع الممتزج بالخوف، ليس من النار فحسب، بل خوفًا على صبيها خوف أم تلقي ولدها بيدها في النار، يا له من إحساس قاتل، إحساس خوف ممزوج بالحيرة

(١) البرهان في علوم القرآن، لأبي عبد الله بدر الدين بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت: ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (٣/ ١٠)، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه بمصر، ط: الأولى (١٣٧٦هـ -١٩٥٧م).

(٢) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لمسلم [بَابُ قِصَّةِ أَصْحَابِ الْأُخْدُودِ وَالسَّاحِرِ وَالرَّاهِبِ وَالْغُلَامِ، حديث رقم (٣٠٠٥) (٤/ ٢٢٩٩)].

(٣) ينظر: المعجم الوسيط، تأليف: (إبراهيم مصطفى – أحمد الزيات – حامد عبد القادر– محمد النجار) ، تحقيق: مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، (٢/ ٧٤٩)، دار الدعوة.

والألم والعجز عن حماية فلذة كبدها في سبيل كلمة التوحيد، فأي قلب وعقل يحتمل هذا؟!

وعلى الفور تتحقق المعجزة بتثبيت الغلام لأمه القاضي على كل خوف وحيرة في قوله – صلى الله عليه وسلم – : (فَقَالَ لَهَا الْغُلَامُ: يَا أُمَّهْ، اصْبِرِي فَإِنَّكِ عَلَى الْحَقِّ)، وبذلك يكون قد بنى خاتمة القصة على الأسلوب الإنشائي بطريقي النداء والأمر المعلل.

ومع قرب أمه منه ناداها نداء البعيد بـ(يا) البُعد [١]، التي قال عنها الزمخشري: إنها تستعمل للبعيد حقيقة [٢] ؛ للتنبيه على بعد منزلتها وعلو مكانتها في نفسه، بالإضافة إلى عظم الأمر المدعو له وعلو شأنه [٣]؛ لأنه أمر يحقق الفوز بالنعيم الدائم في الآخرة، فالنداء بـ (يا) هنا بمثابة " صيحة أو صرخة " [٤] يطلقها الصبي لاستنهاض همة والدته للتجلد حيال هذا المصاب الجلل.

وقصد من أسلوب الأمر استنهاض همة والدته بالحث على التجلد حيال عذاب النار الدنيوي.

وجاء بالأمر من صيغة (الصبر)؛ لتضافرها مع معنى استنهاض الهمة بالحث على التجلد؛ إذ إنه "نقيض الجزع، وحقيقته الثبات للمصيبة أو المشقة، والتماسك والاستمرار فيما هو فيه، وعدم الانقطاع أو الزوال عنه" [٥] ، فهذه

(١) ينظر: المطول ص٢٤٤.

(٢) ينظر: الكشاف (١/ ٨٩) ، وينظر: حاشية الدسوقي على شرح السعد، شروح (٣٣٤/٢).

(٣) ينظر: علم المعاني ص٤١٤.

(٤) دلالات التراكيب ص٢٦٢.

(٥) المعجم الاشتقاقي ص١١٩١.

الصيغة تبث في والدة الصبي روح التماسك والتجلد والثبات، فلا تدع مجالًا للجزع أو القنوط، وإنما تُعلق نياط قلبها بالثبات على الحق، والإقبال على عذاب النار المؤقت في الدنيا؛ للفوز بالنجاة من عذاب جهنم الدائم في الآخرة، فضلًا عما في هذه الصيغة من الدلالة على الاستمرار على التماسك والثبات بختمها بحرف (الراء) الذي " إذا جاء آخر الكلمة دل على الاستمرار" (١) في مضمونها بالثبات هنا على الدين الحق، وعدم التحول عنه مهما تعرضت لضغوط.

وقد أضفى على الأسلوب قوة بتذييله بالتعليل المقنع قوله: (فَإِنَّكِ عَلَى الْحَقِّ)، وقرن جملة التعليل بالفاء؛ لأن الفاء تُخرج العلة مخرج الأمر الذي لا ينكره المخاطب ولا يتردد فيه (٢) ؛ لتوفر أسبابه بما تم معاينته من تمكن الملك من قتل الغلام عند النطق باسم رب الغلام، بعد عجزه مرارًا عن قتله بالاعتماد على عقيدته الباطلة.

وقد زاد من قوة أسلوب التعليل بما عدد فيه من مؤكدات وهي (إن المؤكدة، واسمية الجملة)؛ ليقرر بهذه المؤكدات صحة موقفها وسلامة عقيدتها؛ فيستنهض همتها للثبات والإقبال على اقتحام النار، وتحمل عذابها الزائل، أملًا في النعيم الدائم في الآخرة.

وبذلك تكون خاتمة قصة أصحاب الأخدود في السنة النبوية قد عرضت صورة واحدة من صور قدرة الله – تعالى – وهي إنطاق الطفل في المهد.

من خلال العرض والتحليل السابقين يتبين اتحاد خاتمة القصة في الوحيين

---

(١) معجم عجائب اللغة ، لشوقي حمادة ، ص٢٣ ، دار صادر ــ بيروت ، ط : الأولى (٢٠٠٠م).

(٢) ينظر: من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم "الفاء ، ثم" ص١١٤.

في الحديث عن قدرة الله ، بينما يفترقان في سرد القرآن لصور متنوعة من صور قدرة الله، بينما اكتفت خاتمة القصة في السنة النبوية بعرض صورة واحدة من صور قدرة الله، وبذلك تكون العلاقة بين خاتمة القصة في القرآن والسنة النبوية العموم والخصوص؛ عموم صور قدرة الله المتنوعة التي عرضتها خاتمة القصة في القرآن الكريم، وخصوص صورة قدرة الله على إنطاق الطفل في المهد.

الخاتمة

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات، فبعد هذه الرحلة الممتعة بين الوحيين في قصة أصحاب الأخدود أعرض أهم ما توصلت له من نتائج وتوصيات.

أولًا : النتائج

١- تنوع مطلع القصة بين الوحيين، وتنوع علاقاته بالمقصد اتحادًا في علاقتي (الإجمال والتفصيل، والتعليل) ، وافتراقًا في علاقتي (التناظر والتماثل ، والترقي).

٢- ذكر سبب القصة صراحة في السنة النبوية، على خلاف القرآن الكريم؛ جريًا على عادته في الإيجاز في القصص.

٣- كان الإيجاز والإجمال من أهم سمات قصة أصحاب الأخدود في القرآن الكريم، بينما اتسمت بالتفصيل في السنة النبوية عامة، ومن حيث ذكر شخصيات القصة خاصة.

٤- اتحاد الوحيين في حدث واحد من أحداث القصة، وهو تعمد الكفار تحريق المؤمنين والتشفي بتعذيبهم، بينما اختلفوا في باقي الأحداث، مع وفاء كلٍّ من الوحيين بأحداث القصة على الوجه الأكمل، ولكن بصور متنوعة.

٥- اتحاد خاتمة القصة في الوحيين في الحديث عن قدرة الله، وافتراقهما في سرد القرآن لصور متنوعة من صور قدرة الله، بينما اكتفت خاتمة القصة في السنة النبوية بعرض صورة واحدة من صور قدرة الله، وهي قدرة الله على إنطاق الطفل في المهد، وبذلك تكون العلاقة بين خاتمة القصة في القرآن والسنة النبوية العموم والخصوص؛ عموم صور قدرة الله المتنوعة في خاتمة القصة في القرآن الكريم، وخصوص صورة قدرة الله على إنطاق الطفل في المهد في خاتمة القصة في السنة النبوية.

٦- القصة في الوحيين تقوم على الثنائية التضادية بين الفريقين المؤمنين والكافرين، فهناك ثنائية الإيمان والكفر، وثنائية الرغبة في الدنيا والرغبة في الآخرة، وثنائية الضعف والقوة، وثنائية القلة والكثرة، وثنائية الفوز بالآخرة وخسارة الآخرة؛ مما يؤكد علاقة التضاد بين الفريقين على جميع المستويات في جميع الأحيان.

٧- ورود بعض صور الإطناب في القصة في الوحيين، فورد فيهما: التذييل، والتتميم، بينما تفرد القرآن بالاعتراض، والسنة النبوية بالتكرير.

ثانياً: التوصيات

دراسة ظاهرة تنوع صور المعنى بين الوحيين في العديد من القصص؛ إثراءً للمكتبة البلاغية بأسمى الدراسات التي تتعلق بكتاب الله وسنة رسوله الكريم.

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم تنزيل رب العالمين.

١- أسس النقد الأدبي عند العرب، د/ أحمد أحمد بدوي، نهضة مصر للطباعة والنشر، ط: (١٩٩٦م).

٢- أسلوب القرآن الكريم بين الهداية والإعجاز البياني، د/ عمر محمد عمر باحاذق، دار المأمون للتراث، (دمشق – بيروت) ط: الأولى (١٤١٤هـ – ١٩٩٤م).

٣- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، لمصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي (بيروت – لبنان)، ط: التاسعة (١٣٩٣هـ – ١٩٧٣م).

٤- الإيضاح في علوم البلاغة، لمحمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبي المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (ت: ٧٣٩هـ)، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل – بيروت، ط: الثالثة.

٥- البرهان في علوم القرآن، لأبي عبد الله بدر الدين بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت: ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه بمصر، ط: الأولى (١٣٧٦هـ -١٩٥٧م).

٦- بيان المعاني [مرتب حسب ترتيب النزول]، لعبد القادر بن ملّا حويش السيد محمود آل غازي العاني (ت: ١٣٩٨هـ)، مطبعة الترقي – دمشق، ط: الأولى(١٣٨٢ هـ – ١٩٦٥ م).

٧- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت : ١٣٩٣هـ) الدار التونسية للنشر – تونس، ط: (١٩٨٤ هـ).

٨- التعبير القرآني، د: فاضل صالح السامرائي، دار عمار - عمان، ط: الرابعة (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م).
٩- التعريفات، لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط: الأولى (١٤٠٣هـ -١٩٨٣م).
١٠- التفسير الواضح، للحجازي، محمد محمود، دار الجيل الجديد - بيروت، ط: العاشرة (١٤١٣هـ).
١١- التلخيص في علوم البلاغة، للإمام: جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني الخطيب، تحقيق: عبد الرحمن البرقوقي، دار الفكر العربي، ط: الأولى (١٩٠٤م).
١٢- التمهيد في علم التجويد، لشمس الدين أبي الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت: ٨٣٣هـ)، تحقيق: د/على حسين البواب، مكتبة المعارف، الرياض، ط: الأولى (١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م).
١٣- جامع الدروس العربية، لمصطفى بن محمد سليم الغلاييني (ت: ١٣٦٤هـ)، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، ط: الثامنة والعشرون (١٤١٤هـ - ١٩٩٣م).
١٤- الجامع الكبير - سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبي عيسى (ت: ٢٧٩هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط: (١٩٩٨ م).
١٥- الجنى الداني في حروف المعاني، لأبي محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي (ت: ٧٤٩هـ)، تحقيق: (د: فخر

الدين قباوة ، الأستاذ محمد نديم فاضل)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: الأولى (١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م).

١٦- حاشية الدسوقي على شرح السعد، دار إحياء الكتب العربية، مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر.

١٧- خزانة الأدب وغاية الأرب، لابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي الأزراري (ت: ٨٣٧هـ)، تحقيق: عصام شقيو، دار ومكتبة الهلال- بيروت، دار البحار- بيروت، ط: (٢٠٠٤م).

١٨- خصائص الحروف العربية ومعانيها – دراسة – ، لحسن عباس، منشورات اتحاد الكتاب العربي، ط: ١٩٩٨م.

١٩- دلائل الإعجاز، للشيخ الإمام: أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي، تحقيق: أبي فهر، محمود شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة، ط: الثالثة (١٤١٣هـ-١٩٩٢م).

٢٠- دلالات التراكيب (دراسة بلاغية)، د/ محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، ط: الرابعة (١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م).

٢١- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى (١٤١٥هـ).

٢٢- سنن ابن ماجة، لابن ماجة - وماجة اسم أبيه يزيد - أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت: ٢٧٣هـ)، تحقيق: (شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد - محمَّد كامل قره بللي - عَبد اللّطيف حرز الله)، دار الرسالة العالمية، ط: الأولى (١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩ م).

٢٣- شرح رياض الصالحين، لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت: ١٤٢١هـ)، دار الوطن للنشر، الرياض، ط: (١٤٢٦هـ).

٢٤- صحيح القصص النبوي، د: عمر سليمان عبد الله الأشقر، دار النفائس الأردن، ط: السابعة (١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م).

٢٥- الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ليحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد باللَّه (ت: ٧٤٥هـ)، المكتبة العصرية - بيروت، ط: الأولى(١٤٢٣ هـ).

٢٦- عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، ، لبهاء الدين السبكي، دار إحياء الكتب العربية، مطبعة: عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر.

٢٧- علم المعاني (دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني)، د/ بسيوني عبد الفتاح فيود، مؤسسة المختار، ط: الثالثة (١٤٣٤هـ. ٢٠١٣م).

٢٨- الفروق اللغوية، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى ابن مهران العسكري (ت: نحو ٣٩٥هـ)، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة -مصر.

٢٩- في ظلال القرآن، لسيد قطب إبراهيم حسين الشاذلي (ت: ١٣٨٥هـ)، دار الشروق - بيروت- القاهرة، ط: السابعة عشر (١٤١٢هـ).

٣٠- قصص القرآن عظات وعبر، د: سعيد عبد العظيم، دار العقيدة، ط: الأولى(١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م).

٣١- الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)، لأيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبي البقاء الحنفي (ت:١٠٩٤هـ)، تحقيق: (عدنان درويش، محمد المصري)، مؤسسة الرسالة . بيروت.

٣٢- لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن على، أبي الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي(ت: ٧١١هـ)، دار صادر – بيروت، ط: الثالثة (١٤١٤ هـ).

٣٣- مختصر العلامة سعد الدين التفتازاني، دار إحياء الكتب العربية ، مطبعة عيسى البابي الحلبي.

٣٤- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، لمسلم بن الحجاج أبي الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٣٥- المطول في شرح تلخيص المفتاح، لسعد الدين التفتازاني الهروي، المكتبة الأزهرية، ط: (١٣٣٠هـ).

٣٦- معاني الأبنية في العربية، د/ فاضل صالح السامرائي، دار عمار، ط : الثانية (١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م).

٣٧- معاني النحو، د/ فاضل صالح السامرائي، دار الفكر- عمان، ط: الأولي، (١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م).

٣٨- المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، د/ محمد حسن حسن جبل، مكتبة الآداب، ط: الأولى (٢٠١٠م).

٣٩- معجم عجائب اللغة ، لشوقي حمادة ، دار صادر- بيروت ، ط : الأولى (٢٠٠٠م).

٤٠- معجم اللغة العربية المعاصرة، د/ أحمد مختار عبد الحميد عمر(ت:١٤٢٤هـ)، عالم الكتب، ط: الأولى (١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م).

٤١- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د/ أحمد مطلوب، مكتبة لبنان ناشرون (بيروت - لبنان)، ط: (٢٠٠٧م).

٤٢- معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبي الحسين (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ط: (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).

٤٣- المعجم الوسيط، تأليف: (إبراهيم مصطفى - أحمد الزيات - حامد عبد القادر- محمد النجار) ، تحقيق: مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، دار الدعوة.

٤٤- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لأبي محمد، عبد الله جمال الدين بن يوسف ابن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري، تحقيق: محمد محيى الدين بن عبد الحميد، دار الطلائع - القاهرة.

٤٥- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط: الثالثة (١٤٢٠ هـ)،

٤٦- المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت:٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم . الدار الشامية، دمشق . بيروت، ط: الأولى (١٤١٢هـ).

٤٧- من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم "الفاء ، ثم"، د/ محمد أمين الخضري، مكتبة وهبة، ط: الأولى (١٤١٤هـ - ١٩٩٣م).

٤٨- مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح ، لابن يعقوب المغربي، دار إحياء الكتب العربية، مطبعة: عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر.

٤٩- الموجز في قواعد اللغة العربية، لسعيد بن محمد بن أحمد الأفغاني (ت: ١٤١٧هـ)، دار الفكر - بيروت - لبنان، ط: (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م).

٥٠- نتائج الفكر في النحو، لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (ت: ٥٨١هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى: (١٤١٢هـ - ١٩٩٢م).

٥١- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: ٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

٥٢- وحي القلم، لمصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (ت:١٣٥٦هـ)، دار الكتب العلمية، ط: الأولى(١٤٢١هـ-٢٠٠٠م).

فهرس الدوريات العلمية :

١- أصول البحث في خصوصية بلاغة النظم الكريم، بقلم/ أد. علي عبد الحميد أحمد عيسى، مقالة منشورة على موقع:
https://www.facebook.com/photo/?fbid=2689977366413 54&set=a.108082419399554&__tn__=%3C

٢- تفسير سورة البروج دراسة تحليلية ، د : أحمد نبيه المكاوي حجير، كلية التربية جامعة الأزهر، عدد١٤٦، مجلد ٧، سنة ٢٠١١م.

٣- قصة أصحاب الأخدود في الوحْيَيْن (البيان القرآني وحديث صهيب الرومي في صحيح مسلم) "بين التشابه والاختلاف"]، إعداد: عبد الهادي أحمد سيد عبد العال، مجلة الزهراء- كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات القاهرة، عدد (٣١) لعام ٢٠٢٠م.

٤- واسمات حِجاج الأخدود (دراسة بلاغية في القصص النبوي)، د: نوال بنت سعود بن صالح الفرهود، حولية كلية اللغة العربية بالزقازيق- جامعة الأزهر، عدد ٣٩، مجلد(١)، سنة ٢٠١٩م.